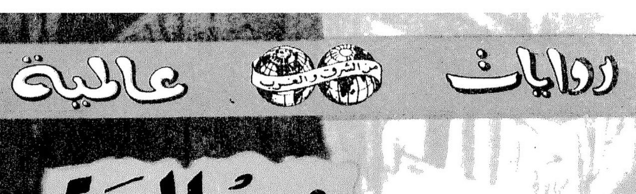
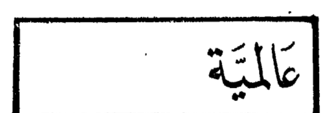


جسم الجريمة

Inspector Maigret And The Burglar's Wife

٣٠ مليما

روايات



العدد رقم ٢٧٣



تأليف
جورج سيمينون
ترجمة
السيد وفائي



الفصـــل الأول

كلف الحاجب المعين لمكتب المفتش ميجريه ، تسليمه طلبــا بتحديد موعد للمقابلة ، وكان هذا الطلب محررا طبقا للتعليمات ويجرى نصه كما يلى :

ارنستين ميكو ، المعروفة باسم « لوفتى » (والآن ارنستين جوسيوم) ، والتى القيت القبض عليها منـــذ سبعة عشر عاما بشارع «لالون» تلتمس تحديد موعد للمقـــابلة ، لأمر مستعجل بالغ الأهمية .

وبنظرة خاطفة من طرف عينه تأمل ميجريه ، جوزيف الشيخ ، لعله يستطيع أن يتبين من ملامح وجهه ، ما اذا كان قد أطلع على الرسالة التى تقـــدم بها اليه وفهم مضمونها . ولـكن الرجـل الأشيب ، وقف جامدا لا يحرك ساكنا . هذا الرجل الذى قـد يكون الوحيد من بين جميع رجال ادار" الأمن العـام . الذى لم يتحلل من ملابسه الرسمية ، ويرتدى القميص فى الصباح الحار ولأول مرة بعد تلك الأعوام الطويلة ، يتساءل كبير المفتشين عن سر تلك الاوامر الغريبة ، التى تخطر مثل هذا الرجل الأشيب الوقور لأن يحمل هذه السلسلة الثقيلة بذاك الخاتم الضخم حول عنقه .

كان اليوم ، من تلك الايام التى يجدها المرء مناســبة ليسرح فيها بخياله فى آفاق من الفكر ، حيثما شاء وكيفما طاب له .. وقد يرجع ذلك الى حرارة الجو ، وقد يرجع أيضا الى الشعور الذى يتملك النفس فى موسم الاجازات ، مما يباعد بين المرء وبين حمله للامور على محمل الجـد .. وكانت نافذة الحجرة ، التى دخلها جوزيف منذ لحظة ، مفتوحة على مصراعيها ، لينفذ منهـا الهواء مع ضوضاء باريس البعيدة . وقد جلس المفتش ميجريه يشغل وقته بتأمل فراشة حائرة تطير فى دائرة واحدة لا تخرج منها . وكان كل ما فى المكان يوحى بتراخى الكسل . فها هو ذا قسم المباحث قد تغيب عنه أكثر من نصف رجاله ، بين راحل الى

الريف ، وبين مسافر الى شاطىء البحر . وها هو ذا لوكاس ؟ قد خرج ليجول واضعا على راسه قبعة من القش هى اقرب ما تكون الى مظلات المصابيح منها الى قبعات الرجال ، حتى المدير العام هو الآخر ، قد رحل فى اليوم السابق الى جبال البيرينيز كعادته فى كل سنة .

واخيرا سأل ميجريه الحاجب ، وهو يضع الطلب جانبا :

ـ أهى مخمورة ؟ .

ـ لست اظنها كذلك يا سيدى .

لأنه كان يعلم ان مثل هذا الصنف من النساء اذا ما افرطن فى تعاطى الخمر . وجدن انفسهن مدفوعات لاماطة اللثام عن أشياء كثيرة وعن امور لا حصر لها .

ـ ثائرة الأعصاب ؟.

ـ عندما سألتنى هل سيطول بها الانتظار ، وأجبتها بأننى لست متأكدا حتى من مجرد موافقتك على مقابلتها ، سحبت مقعدا جلست عليه فى ركن من غرفة الانتظار ، وبدأت تقرأ فى صحيفة يومية كانت معها .

وحاول ميجريه ان يذكر شيئا عن هذه الأسماء : ميكو .. او جوسيوم .. أو لوفتى . عندما استعاد لنفسه ذكرى يوم حار فى شارع «لالون» ثقل طقسه برائحة الأسفلت الذى لان تحت اقدام الراجلين .

وكان ذلك ، بالقرب من بورت سانت دينيس ، فى شارع صغير تقوم على جانبيه بعض الفنادق التى تحوم حولها الشبهات وبعض الحوانيت الصغيرة لبيع الحلوى . ولم يكن ميجريه حينئذ قد رقى بعد كبيرا للمفتشين . وكان قد كلف تحرى امر فتاة تتنقل بين البارات ، واضطره الأمر أن يتنقل هو الآخر بينها .. ويتعاطى فى جولته هذه بعض كؤوس من شراب «البرنو» . وانه ليكاد يشعر فى جلسته هذه برائحة هذا الشراب تنفذ الى انفه ، وقد اختلطت برائحة العرق فى هذا الخان الصغير .. وعلى قدر ما تستطيع ذاكرته ان تحمل اليه ، كانت غرفة هذه الفتاة فى

الطابق الثالث أو الرابع . وهو يذكر ايضا انه أخطأ بابها فى أول الأمر ، حيث وجد نفسه وجها لوجه أمام أحد الزنوج ، الذى كان جالسا على حافة فراشه يلعب على الأكورديون . والذى عندما عرف بغيته ، أومأ برأسه الى باب الغرفة المجاورة لغرفته .

ـ ادخل ! .

كان الصوت الداعى صوتا أجش ينم عما كان للخمر وللتدخين من أثر فيه ووجد صاحبة الصوت واقفة بجوار نافذة حجرتها المطلة على الساحة ، بقدها الممشوق ملتحفة برداء ازرق ، تعد لنفسها الطعام على موقد صغير .

وما أن رأته أمامها ، حتى فحصته بنظراتها من قمة راسه الى اخمص قدميه ، فى ثبات وبرود . وبعد أن انتهت من ذلك قالت له دون موارية :

ـ شرطى ! اليس كذلك ؟ .

ولم يجبها بشىء ، لأنه كان مشغولا بالنظر الى الحافظة وأوراق النقد التى لمحها فوق الدولاب الموجود فى الغرفة . ولاحظ انها لم تحرك ساكنا . وكل ما علقت به على ذلك كان بقولها :

ـ هذا يخص احدى صديقاتى ! .

ـ ومن تكون ؟ .

ـ لست أعرف لها اسما غير « لولو » .

ـ وأين تكون ؟ .

ـ هذا ما يجب عليك أن تصل اليه . ان عملك يبدأ من هنا ! .

ـ البسى ملابسك الخارجية فورا ، لأنك ستأتين معى .

كانت الجريمة جريمة نشل عادية ، الا أن الادارة كانت توليها اهتماما خاصا بالنسبة لشخصية المجنى عليه ، وليس بسبب ضخامة المبلغ المسروق ، الذى كان فى الواقع مبلغا كبيرا فى نفس الوقت .

ـ ليس بوسعك ، ولا بوسع ادارة الأمن العام كلها ، أن تحول بينى وبين تناول طعامى ! .

ولم يكن بالحجرة غير مقعد واحد . فاضطر أن يظل واقفا على قدميه ، في انتظار أن تنتهى من تناول طعامها ، الذى كانت تتناوله على مهل ، متجاهلة وجوده .

كان سن هذه الفتـاة حينئذ ، لا يتجاوز العشرين ربيعا .

وكانت شاحبة الوجه ، باهتة العينين ، زائغة النظرات . وانه ليراها الآن ، بعد ان فرغت من تناول طعامها ، ماثلة أمام عينيه تعد لنفسها قدحا من القهوة .

ـ لقد طلبت منك أن ترتدى ثيابك .

فقد بدأ يضيق ذرعا بكل شيء .. بحرارة الجو .. وبرائحة المكان .. وبتمهلها المتعمد .. وبها هى ايضا .

ـ انى انتظر ! .

قالها فى حدة بعد ان نفد صبره ، وقد أشاح بوجهه عنها .

ـ ان ماتقوله عن الأمر بالقبض على ، لا يهمنى فى كثير او فى قليل . كما اننى لست مضطرة أن اعاونك فى تنفيذ ما لديك من اوامر .

وانه ليذكر ، انه قد طلب منها غير مرة ، أن تعدل عن العبث وأن تنهض وتسرع بارتداء كامل ثيابها . كما يذكر انه قد سلك كل مسلك فى سبيل حملها على ذلك ، من تهديد ووعيد ، الى اقناع والحاح فى الرجاء . غير أن ذلك كله ، لم يحرك منها ساكنا ولم يحملها على أن تقلع عما هى فيه . الأمر الذى اضطره أخيرا أن يذهب لطلب بعض رجال الشرطة للاستعانة بهم . مما انقلب معه الوضع بعد ذلك ، الى مشهد من مشاهد الكوميديا ، عندما اضطر شرطيان أن يحملا الفتاة ويهبطا بها من الدرج الضيق ، فى وقت تفتحت فيه جميع الأبواب على الجانبين ، لتستكمل مناظر هذا المشهد الطريف .

ولم يقدر له أن يلتقى بها بعد ذلك ، أو أن يسمع عنها شيئا . وبعد أن استعرض لنفسه كل هذا ، قال للحاجب :

ـ دعها تدخل ! .

وما أن دخلت عليه ، حتى عرف انها بطلة تلك القصة القديمة ولاحظ انها لم تتغير كثيرا . فقد كانت هى بوجهها الشاحب المستطيل ، وبعينيها الباهتتين الزائغتين ، وبفمها الكبير الساخر كما تبين من عينيها : تلك النظرات الهادئة الساخرة ، التى لاتراها الا فى نظرات كل من صادف فى حياته الكثير ، فهانت عنده بعد ذلك الحياة وكل ما فيها من شئون .

وكانت ترتدى ثيابا بسيطة ، وتضع فوق راسها قبعة من القش الأخضر ، كما تضع يديها فى قفازين عاديين .

ـ هل مازلت تذكر ما حدث منى ؟.

فسكت ولم يعقب . والتزم الصمت مواصلا تدخين غليونه .

ـ هل تأذن لى بالجلوس ؟ لقد سمعت عن ترقيتك . وأظن أن هذا هو السبب فى عدم لقائنا مرة اخرى . هل تسمح لى بالتدخين ؟ .

ثم أخرجت من حقيبتها لفافة تبغ اشعلتها فى هدوء كعادتها .

ـ اريد ان ابدأ حديثى معك ، بان اخبرك بكل صراحة ، باننى كنت اصدقك القول ، عندما قررت لك ، فى لقائنا الأول ، بأنه لم يكن لى شأن بهذه النقود المسروقة التى وجدتها عندى . وعلى الرغم من ذلك . فقد حكم على بالحبس سنة لجريمة لم ارتكبها وكفرت بذلك عن جريرة غيرى ؛ لأن تلك الفتاة التى كانت تدعى بلولو ، هى فعلا المسئولة عن ارتكاب هذا الحادث . ولكنك لم تكلف نفسك عناء البحث عنها للتحقق مما قلته لك فليكن ...

ـ وماذا كان من امرها بعد ذلك ؟ .

ـ انها تدير الآن مطعما صغيرا . ان هذا الأمر لم يترك فى نفسى اى اثر . فقط اردت ان ابين لك ، ان كل انسان معرض لأن يجانبه التوفيق فى هذه الحياة .

ـ أمن اجل هذا كان مجيئك ؟ .

ـ لا .. فقد حضرت لما هو اهم من ذلك واجل . لقد جئت لأتحدث اليك بشأن الفريد . وما أظنه اذا علم بذلك ، الا معتمدا

انني قد فقدت عقلي . وكان بوســعي ان الجأ لبواسييه ، الذي يعرف عنه كل شيء .

ــ ومن هو الفريد هذا ؟ .

ــ انه زوجي . زوجي قانونا وشرعا . لانه ممن يواظبون على التردد على الكنيسة . ومع ذلك فقد وقع في قبضة بواسييه غير مرة . وحكم عليه بالسجن خمس سنوات في احدى هذه المرات .

ثم ازداد صوتها خشونة وهي تستطرد قائلة :

ــ ان اسم جوسيوم قد لا يعني عندك شيئا . ولـكنني اذا ما اخبرتك باسم شهرته فستعرف حتما من هو الفريد جوسيوم . لقد كتبت الصحف عنه الـكثير . انه فريدي الحزين .

ــ لص الخزائن ؟.

ــ نعم هو .

ــ وهل تشاجرتما ؟ .

ــ لا . . ان مجيئي الى هنا لم يكن لمثل هذا . ولست ممن يتوجهن لمكاتب الشرطة من أجل هذه الصغائر . ليكن . . . هل عرفت الآن من هو فريدي ؟ .

الا ان ميجريه لا يذكر انه سبق له ان التقى بهذا الرجل . . اللهم الا اذا كان ذلك عرضا في دهاليز الادارة ، اذا ما تصــادف وقوف هذا اللص ، في انتظار استجوابه بمعرفة بواسييه ، وتمثلت أمام عينيه صورة غير واضحة المعالم لرجل ضئيل الجسم ساهم النظرات ، في ثياب تبدو فضفاضة على جسمه الصغير .

ــ وطبيعي ان تختلف نظرة كل منا له .

بذلك اخذت تواصل حديثها :

ــ يا للمسكين ! ان له نواحي اخرى غير ما قد يجول بخاطرك عنه . لقــد عشت معــه حوالي الاثني عشر عاما ، اتاحت لي ان افهمه على حقيقته .

ــ وأين هو الآن ؟ .

ـ صبرا . وهل جئت الا من اجل ذلك ! انني لا أعرف اين هو الآن . ولكنني اعرف انه في مأزق . وان ما تردى فيه لم يكن عن خطأ ارتكبه . ان كل ما ارجوه منك ، أن تثق بي . وان كنت أعلم انني بذلك اطلب الكثير .

لقد بدأ فعلا يهتم بما تقول . ورأى في طريقة حديثها وفي بساطة لهجتها ، ما يدعوه لأن يستمع اليها . انها لاتحاول التأثير عليه او تمويه الحقائق في عينيه . وان كانت لم تصل بعد للب الموضوع ، فان ذلك قد يرجع الى أهمية ماتريد الافضاء به أو الى شدة خطورته .

كما انها كانت تشعر بأن هناك حاجزا بينها وبينه ، وانها بحاجة الى أن تحطم هذا الحاجز ، وقبل أن تفضى اليه بما تريد الافضاء به ، حتى يصدقها فيما تقول ولا يسيء فهم ما تعنيه .

أما فريدى الحزين ، الذى لم يسبق لميجريه أن احتك به في اثناء عمله ، فانه يعلم عنه اكثر مما تعلمه عنه الجهات الرسمية . فقد كان للرجل شهرة خاصة في عالمه ، حاولت الصحف أن تستغلها ، وأن تجعل منه بطلا قصصيا من أبطال الخيال .

فقد بدأ عمله بمؤسسة بلانشار لصناعة الخزائن ، واستمر يعمل بهذه المؤسسة عدة اعوام طويلة ، حتى اصبح من أكثر عمالها كفاية ومهارة . وكان يبدو بين زملائه ، حزينا منطويا على نفسه .كما عرف عنه الجميع ، اعتلال صحته وتعرضه من وقت لآخر ، لنوبات من الصرع والاغماء .

اما الظروف التى انتهت بهذا الرجل الى ان يترك عمله بمؤسسة بلانشار ، فقد رأى ميجريه انه يحسن به الاستفسار عن ذلك من بواسييه .

ومهما يكن من أمر هذه الظروف ، فمما لاشك فيه انها انتهت به اخيرا ، الى أن يتحول من صانع للخزائن الى محطم لها .

ـ وهل كان الفريد مستقرا في عمل معين ، عندما التقيت به اول مرة ؟ .

ـ لا . الا انني لم اكن السبب في انحرافه عن الطريق المستقيم

كما قد يتبادر الى ذهنك . ولم اكن اعلم فى أول الأمر شيئا عن حقيقة عمله . ثم علمت اخيرا ، وشيئا فشيئا ، حقيقة أمره .

ـ الم يكن من الأفضل أن تقابلى بواسييه فى هذا الشأن ؟ .

ـ هذا اذا كان الأمر يتعلق بجريمة من جرائم السطو . اليس كذلك ؟ ولكن اذا كان الموضوع متعلقا باحدى جرائم القتل ، فأنا اظن أن هذا من اختصاصك ؟ .

ـ وهل ارتكب الفريد جريمة قتل ؟ .

ـ سيدى كبير المفتشين . ما اظن الا انك ترغب فى أن ننتهى من هذا الأمر فى أقصر وقت ممكن . ولن يكون ذلك الا اذا أعطيتنى الفرصة لمواصلة حديثى . من حقك أن تنعت الفريد بما تشاء من أوصاف . ولكن الشيء الوحيد الذى لا يمكنك أن تنعته به ، والذى أرجو ان تتأكد منه ، هو أنه ليس بقاتل ، وهو أبعد الناس عن التفكير فى ارتكاب هذه الجريمة ، حتى ولو دفعت له كل اموال العالم . وقد يبدو لك هذا أمرا شديد الغرابة بعيد الاحتمال ! الا أنه الواقع الذى لاشك فى صحته . وذلك لأن فريدى انسان مرهف الحس ، رقيق الشعور هل تتبعنى فيما أقول ؟ . اننى أنا وحدى من تعرف ذلك عنه خير المعرفة . فقد عاشرته أعواما طويلة وعرفته على حقيقته . ان غيرى يقول عنه انه انسان رقيق ضعيف ، فاذا كان كذلك حقا ، فان هذا هو بالذات ماجعلنى أحبه .

ثم أخذت تتأمله فىهدوء . وكانميجريه قد لاحظ انها عندما نطقت بكلمة الحب ، لم تنطق بها بتلك اللهجة التى تضفى عليها مالها من معانى التعاطف والود والحنان ، بل نطقت بها بلهجة المعتز بشخصية المعنى بها المقدر لصاحبها .

ـ لو أتيح لك أن تلمس ما تنطوى عليه نفسه ، ما دهشت مما اقول .. انك لا تعرف عنه ، الا انه لص محطم للخزائن . وانه أودع السجن لمدة خمس سنوات لثبوت التهمة عليه فى احدى تلك المرات التى قبض عليه فيها . اننى لم أتخلف مرة واحدة عن

زيارته فى الأيام المحددة للزيارة عندما كان سجينا . ولقد كنت أخاطر بذلك ، لأننى لم أكن أحمل تلك البطاقة التى كانت تعضى التعليمات بضرورة حملها .

ـ لكم تمنى ان يقوم بتحقيق صفقة ضخمة ، نخلد بعدها للراحة ونستقى بها فى الريف . ولقد علمت منه أن هذا الحلم كان يراوده مذ كان صبيا .
ـ وأين تقيمان ؟ .

ـ فى غرفتين تقعان فى أعلى أحد المقاهى بناحية رصيف « دى جيماب » أمام هويس « سانت مارتان » .. هل عرفت المكان ؟ . ويمتاز هذا السكن بالتليفون الموجود بالمقهى .
ـ وهل الفريد موجود هناك الآن ؟ .

ـ بالطبع لا .. لقد قلت لك اننى لا اعرف اين يوجد . وأرجو أن تصدقنى .. لقد زاول نشاطه فى ليلة قبل الليلة الماضية .
ـ ثم هرب بعد ذلك ؟ .

ـ مهلا يا سيدى المفتش ! . ستعرف كل شىء اذا صبرت قليلا . انك تسمع طبعا عن هؤلاء الذين يواظبون على شراء أوراق اليانصيب القومى قبل كل سحب . الا تعرف ذلك ؟ . ولعلك تعرف أيضا ان الأمر قد يبلغ بالبعض منهم حدا يحملهم على الاقتصاد فى أقواتهم حتى يتيسر لهم شراء هذه الأوراق . وكل ذلك لأنهم لا يفقدون الأمل فى الفوز بجائزتها الأولى . ان هذا هو نفس الأمر مع فريدى .. فهناك العشرات من الخزائن فى باريس ، تولى بنفسه صنعها وتركيبها ، ويعرف أماكن وجودها عن ظهر قلب . وليس من شك فى أن كل من يشترى احدى هذه الخزائن ، يشتريها ليضع فيها أمواله وجواهره .
ـ وهو يرجو أن يفوز باحدى هذه الخزائن فى يوم ما ؟ .

ـ ها أنت ذا قد ادركت ما اعنى ! .
ثم رفعت كتفيها فى استهتار ، وواصلت حديثها وكأنها تتحدث عن نزوة طفل عابث لا ضرر من عبثه :

ـ الا انه كان سيىء الحظ فى كل مرة ! . لقد كان نصيبه فى معظم الحالات ، سندات اسمية لا يمكن بيعها ، أو عقود أعمال لا يمكن التصرف فيها . ولم يوفق الى مبلغ محترم الا مرة واحدة ، كان من الممكن أن يكفينا هذا المبلغ لنعيش به طوال حياتنا ، ويتحقق لنا به ما نبغى . ولسوء حظه ، كانت هذه المرة هى المرة الوحيدة التى تمكن فيها بواسيبه من الصاق التهمة به واثباتها عليه ، مما أدى للحكم عليه بالسجن كما سبق أن ذكرت لك .

ـ وهل كان يشركك فى نشاطه ؟ . كأن تقومى بدور المراقبة مثلا ! .

ـ لا .. انه لم يكن يحب ذلك لى . لقد كان يخبرنى ، فى بادىء الأمر ، بالمكان الذى سيقوم بالسطو عليه ، لكى أكون على مقربة منه فقط . الا أنه اقلع عن ذلك اخيرا ، ولم يعد يطلعنى على شىء .

ـ حتى لا يزج بك فى الأمر ؟ .

ـ قد يكون ذلك . وقد يكون لأسباب أخرى لا يعلمها الا هو ؟ هل تصدق انه تمر بنا أيام لا يحس الواحد منا فيها بالآخر وكاننا لا نعيش معا . وهل تصدق انه كانت تمر بنا أيام لا أسمعه فيها ينطق بحرف واحد . لطالما رأيته يقتطع نفسه من الحياة بعيدا ؟ وكأنه يعيش وحيدا . ان كل ما كنت أعلمه عن نشاطه ، كان عندما يخرج فى الليل على دراجته .

وقد ذكره ذلك ، بما كان يعرف به الفريد جوسيوم ، وبما كانت تصفه به بعض الصحف « باللص راكب الدراجة » .

لقد كانت له وجهة نظره فى ذلك . اذ كان يرى أن رجلا يركب دراجته ليلا لن يسترعى نظر أحد من الناس ، فهم سيرون فيه ، وقد تدلت حقيبة ادواته من كتفه ، عاملا متوجها لأداء عمله . اننى أتحدث اليك كما اتحدث الى صديق . لعلك ادركت ذلك من صراحتى ؟ .

وقد عاد ميجريه ليتساءل فيما بينه وبين نفسه ؟ عما دعاها لأن تلجأ اليه بالذات ، وتجعله موضع ثقتها دون غيره . ولما

أخرجت لفافة تبغ أخرى قام في هذه المرة باشعالها لها .

ــ اليوم الخميس .. لقد خرج الفريد ليلة الثلاثاء الماضى ..

ــ وهل علمت منه انه فى طريقه لاحدى عملياته ؟ .

ــ لقد علمت ذلك استنتاجا . فقبل هذه الليلة بأسبوع ، كان يخرج في كل ليلة دون أن يحمل حقيبة ادواته . وفى ذلك ما فيه من دلالة . لأنه كان يفعل هذا ، قبل كل مرة يقوم فيها بالسطو على مكان ما ، ليراقب المكان ويدرس احوال ساكنيه .

ــ وحتى يتأكد من ان أحدا ما لن يكون فيه ؟ .

ــ كلا .. فهذا أمر لا يهمه فى كثير او فى قليل . بل أعتقد انه كان يفضل العمل فى مكان ماهول على العمل فى مكان مهجور . فهو من هذا الصنف من الرجال ، الذى يستطيع أن يتحرك فى اى مكان دون أن يحدث صوتا .. ولماذا نذهب بعيدا .. لطالما عاد الى المنزل دون أن أشعر به الا وهو فى الفراش الى جوارى .

ــ وهل تعلمين شيئا عن المكان الذى توجه اليه فى تلك الليلة ؟ .

ــ ان كل ما أعلمه ، انه كان فى ناحية نويللى . ولقد عرفت هذا بمحض المصادفة .. ففى اليوم الأسبق لليلة التى خرج فيها أخبرنى عند عودتى للمنزل ، بأن رجال الشرطة قد طلبوا منه الاطلاع على بطاقته الشخصية لاشتباههم فيه عندما كان فى طريقه بغابة بولونى . فلما سألته عن مكان مقابلتهم له بالتحديد ، أخبرنى بأن ذلك كان خلف حديقة الحيوان ، فى طريق عودته من ناحية نويللى . وعندما خرج فى ليلة الثلاثاء حاملا حقيبة ادواته ، فطنت الى انه قد خرج فى طريقه الى مزاولة نشاطه بهذه الناحية .

ــ أليس من عادته تعاطى الخمر ؟ .

ــ ابدا .. لا الخمر ولا التدخين .

ثم استطردت تفسر ذلك :

ــ لأنه لم يكن فى استطاعته أن يقترب من الخمر . لقد كان يعيش فى رعب من تلك النوبات التى كان يتعرض لها من وقت لآخر ،

ولطالما خجل من نفسه ، عندما كانت تهاجمه هذه النوبة فى الطريق أمام جموع الناس ، فيحيطون به ويرثون لحاله .. وأذكر انه قال لى وهو فى طريقه الى عمله تلك الليلة أرجو الا يخيب تقديرى فى هذه المرة . فما اظن الا أننا سنتمكن بعد هـذه العملية ، من قضاء بقية العمر فى الريف ، كما كنا نتمنى ذلك دائما .

وكان ميجريه قد بدأ يدون بعض الملاحظات وهو يصغى الى حديثها . ثم سألها وهو يعبث بقلمه على الورق :

ـ فى أى وقت غادر الفريد رصيف دى جيماب ؟ .

ـ حوالى الحادية عشرة . كما كان يفعل فى الليالى الأخرى .

ـ يصل الى نويللى حوالى منتصف الليل .

ـ تقريبا .. فلم يكن من عادته أن يسرع فى سيره .

ـ ألم تريه بعد ذلك ؟ .

ـ نعم .. لم أره .

ـ ولهذا تظنين انه قد وقع له حادث ما ؟ .

ـ لا .. فقد اتصل بى تليفونيا .

ـ ومتى كان ذلك ؟ .

ـ فى الخامسة صباحا من نفس الليلة . ولم يكن النوم قد واتانى بعد . وذلك كعادتى فى كل ليلة يتوجه فيها الى عمله . لأننى كنت اخشى دائما ان تهاجمه النوبة فى أثناء قيامه بعمله .. ماذا كنت اقول ؟ . آه .. سمعت رنين التليفون فى المقهى الذى يقع اسفل غرفتنا مباشرة . ولم يستجب اصحابه لندائه . واستمر الرنين .. فقلت لنفسى : قد يكون هـذا النداء لى .. فنهضت مسرعة وهبطت فوق الدرج فى عجلة .. وما أن رفعت السماعة حتى سمعت صوته ، وأدركت من لهجته انه فى مازق . قال فى صوت خفيض :

ـ أهذه أنت ؟ .

ـ نعم ..

ـ هل معك احد ؟ .

ـ لا .. اين انت ؟ .

— فى مقهى صغير بالقرب من محطة الشمال . اسمعى يا تينى — بهذا الاسم كان يدعونى — اننى مضطر للسفر بعيدا لفترة ما .

— ماذا جرى .. هل رآك احد ؟ .

— ان الامر ليس كذلك .. لقد رآنى احدهم فعلا .. ولست ادرى ان كان شرطيا او غير شرطى .

— وهل كان ذلك بعد أن استوليت على النقود ؟ .

— لا .. لقد حدث ما حدث قبل ان انتهى من كل شيء .

— الا قل لى ماذا حدث ؟ .

— فى أثناء انهماكى فى معالجة قفل الخزانة ، سقط ضوء مصباحى على وجه فى ركن الغرفة . فخيل الى ان هناك شخصا ما يراقبنى . فلما امعنت فى النظر تبين لى أن العينين لانسان ميت .

ثم تفرست فى وجه ميجريه قبل أن تقول له :

— أنا واثقة انه لم يكن ينطق الا صدقا . فلو كان هو القاتل لصارحنى ! . لن اطيل الحديث فى ذلك .. لقد شعرت وهو يحدثنى بأنه تحت تأثير رعب قاتل ، وانه يكاد يغمى عليه من هول ما رأى ، وكانى به كان ينظر حوله خوفا ...

— ممن ؟ . ومن اى شيء ؟ .

— لست أدرى . لأنه لم يكشف لى عن الأمر كله . فقد كان يتعجل انهاء المحادثة .. وأخيرا أخبرنى انه سيستقل القطار الى ...

— الى بلجيكا ؟ .

— ربما .. ما دام اتصاله بى كان من مكان قريب من محطة الشمال . لقد راجعت جدول مواعيد القطارات ووجدت أن هناك قطارا يبرح المحطة فى الخامسة والنصف .

— الا تعرفين شيئا عن المقهى الذى كان يتحدث اليك منه ؟ .

— لقد قمت بجولة استطلاعية فى ذاك الحى بالأمس . وحاولت جاهدة ان أصل لأية معلومات . ولكننى لم اوفق الى شيء . وكانى

بالقوم هناك ، وقد حسبونى زوجة غيورة تتعقب خطوات زوجها ولذلك لم أفز منهم بشيء .

ـ اذن .. فكل ما أخبرك به ، انه رأى جثة فى الحجرة التى كان يزاول فيها عمله ؟ .

ـ لقد حاولت أن أحصل منه على مزيد من المعلومات . فأخبرنى بأن الجثة لامرأة ، وأن الدماء كانت تلوث صدرها ، وأنها كانت ممسكة بسماعة التليفون فى يدها .

ـ أهذا هو كل ما أخبرك به ؟ .

ـ لا .. فقد علمت منه انه فى نفس اللحظة التى كان سينطلق فيها لينجز عمله بعد ان رأى ما رأى . واستطيع الآن ان أتصور أى حال كان فيه المسكين .. سمع صوت وقوف سيارة امام الباب الكبير .

ـ وهل قال لك الباب الكبير على وجه التحديد ؟ .

ـ نعم .. الباب الكبير المصنوع من الحديد المطروق . تماما كما قال لى . ثم ترك السيارة شخص ما واتجه صوب الباب . وما أن وصل هذا الشخص الى المشى ، حتى أسرع الفريد بترك المكان عن طريق النافذة .

ـ والحقيبة ؟ .

ـ تركها خلفه .. فلقد كان من عادته أن يدخل الأماكن من نوافذها ، حتى ولو وجد أبوابها مفتوحة أمامه . ومن هذه النوافذ كان خروجه أيضا . كان يدخل من النافذة ويتركها مفتوحة ليخرج منها مهما كانت الظروف والأحوال ! .

ـ وبناء على ذلك فان أحدا ما لم يره ؟ .

ـ حتى تلك اللحظة . الا انه بينما كان يجتاز الحديقة مسرعا ..

ـ اذن .. فقد كان بالمكان حديقة أيضا ؟ .

ـ نعم .. وبينما كان يجتاز هذه الحديقة ، لمح احدهم واقفا بالنافذة يتتبعه بأضواء مصباح سلطها عليه . ولا يستبعد أن يكون هذا المصباح هو مصباح الفريد بالذات . وبعدها أسرع الفريد

باعتلاء دراجته التى اندفع بها دون ان ينظر الى الخلف . وواصل سيره حتى بلغ نهر السين حيث القى بدراجته حتى لا تكون دليلا عليه ، اذا ما احتفظ بها او تركها فى الطريق . ولم يخبرنى بالمكان الذى تخلص فيه من الدراجة على وجه التحديد . ثم رأى بعد ذلك الا يجازف بالعودة الى منزلنا ، فاتجه الى محطة الشمال ، ومن هناك اتصل بى كما اخبرتك . وقد طلب منى الا اتحدث بشىء من كل ذلك لأحد ما . ولم يكن من رأيى أن يهرب او يختفى ، وحاولت اقناعه بذلك بشتى الوسائل والطرق .. ولكنه اصر على رأيه منهيا محادثته واعدا ان يكتب الى العنوان الذى يمكن ان اتبعه اليه .

ــ وهل كتب اليك ؟ .

ــ لم يكن هناك متسع من الوقت فى هذه الفترة القصيرة . وقد توجهت فعلا الى مكتب البريد هذا الصباح ، فلم اجد شيئا باسمى . وفى خلال الساعات الماضية ، قلبت الأمر على جميع وجوهه وقمت بشراء جميع الصحف اليومية ، فلم اجد اية اشارة بها لحادث المراة المجهولة .

ورفع ميجريه سماعة التليفون ، ليتصل بمركز الشرطة فى نويللى .

ــ هللو .. هنا ادارة الأمن العام . هل لديكم ما تبلغون عنه بشان جناية قتل وقعت خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية ؟ .

ــ لحظة يا سيدى حتى احول الاتصال الى المكتب الجنائى . فما انا الا الضابط المنوب .

وانتظر ميجريه حتى تمت عملية التحويل واستطرد موضحا :

ــ الم تبلغوا بالعثور على جثة بالطريق ؟ . الم ترد لكم بلاغات ليلية عن انتشال جثة من نهر السين ؟ .

ــ لا شىء من هذا القبيل يا سيدى .

وانتظرت لوفتى انهاء المحادثة فى صبر نافذ ، وقد عقدت ما بين يديها ، ومالت بجسمها الى الأمام ، وكأنها تستجدى فى لهفة ، ما سيحمله التليفون اليها من انباء . ولما ادركت انه لا يوجد

في الأمر جديد ، استأنفت حديثها قائلة :

ـ هل قمت بايضاح كل شيء ؟ . وهل عرفت لماذا جئت اليك ؟ .

ـ اظن ذلك .

ـ لقد قلت لنفسي بادىء ذي بدء ، انه اذا كان احد من رجال الشرطة هو الذي رأى ألفريد ، فستكون الدراجة دليلا عليه . ولما علمت منه أنه ترك حقيبته قلت ان الادلة ستتكاثر عليه وتتجمع ضده . أما وقد أصر على الفرار ـ وهو الآن عبر الحدود ـ فقد ازدادت الأمور تعقيدا بالنسبة إليه ، وما أظن احداً بمصدق قصته . وما اظنه بأكثر أمنا في بلجيكا او في هولاندا منه في باريس .. ولقد كنت افضل أن أراه مرة اخرى في السجن لاقترافه جريمة السطو ، على ان أراه متهما بجريمة قتل لم يرتكبها .

ـ اننا أمام مشكلة جديدة ، وهي ان جسم الجريمة غير موجود ! .

ـ هل يدور بخلدك أن ما سردته عليك من نسج خيالي أو من نسج خياله ؟ .

ولم يعقب ميجريه على ذلك بشيء . فاستطردت قائلة :

ـ من السهل عليك ان تتعرف على المكان الذي كان بسطو عليه في تلك الليلة . حقيقة انه ليس لي أن أوجهك في عملك الا انني واثقة انك فكرت في هذا فعلا . ان الخزانة لابد ان تكون من بين تلك الخزائن التي قام بصنعها وتركيبها من قبل . وليس من شك في أن مؤسسة بلانشار تحتفظ بسجل لعملائها . ولا اظن أن هناك الكثيرين في نويللي ممن يقتنون الخزائن .

ـ وهل يوجد في حياة ألفريد ، في الوقت الحاضر ، امرأة أخرى ؟

ـ آه ! . لقد كنت أتوقع منك هذا السؤال .. انني لست امرأة غيورة . وحتى لو كنت كذلك ، فما كنت لأحضر اليك بكل هذه المجموعة من الأحاديث ، كوسيلة لاستمادته الي . فاذا ما كان هذا قد تبادر الى ذهنك ، فلتعلم بانه لا يتصل بغيري من النساء .

لأن ذلك هو استعداده الشخصى ».
ــ وكيف ؟ . وماذا يمنع ؟ .
ــ لأن الحياة كما يراها الفريد ، ليست كالحيـــاة فى نظر غيره . هذا ، ولم تدع له الحياة من تصاريفها ، متسعا يتيح له ذلك .
ــ هل معك نقود ؟ ».
ــ لا ..
ــ وكيف ستتصرفين ؟ .
ــ انك تعرف اننى استطيع ان أدبر أمرى . وأحب ان أؤكد لك أخيرا ، اننى لم أحضر الى هنـــا الا لأؤكد لك أن فريدى لم يقتل احدا .
ــ اذا وصلك خطاب منه ، هل تطلعيننى عليه ؟ ».
ــ انك ستطلع عليــه قبل ان اطلع عليه أنا .. انك تعلم انه سيكتب الى على « شباك البوستة » ولذلك فانك ستراقب جميع مكاتب البريد فى باريس . أو نسيت اننى لست بمنأى عن مثل هذه الأمور ؟ .
ثم نهضت من مقعدها ، وتأملته وهو فى مكانه من مكتبــه قائلة :
ــ اذا صح كل ما يقولونه عنك ، فلا استبعد انك قد صدقتنى ».
ــ وكيف ؟ ».
ــ لأنك اذا لم تكن قد صدقتنى ، فأنت غر أبله ! . ولست أراك كذلك ، بناء على ما أعهده فيك ».
ــ وبعد ؟ ».
ــ هل ستتصل بمؤسسة بلانشار ؟ ».
ــ اظن ذلك .
ــ وهل ستطلعنى على النتيجة ؟ .
فنظر اليها ، دون أن يجيب بشىء . ولم يستطع ان يخفى تلك الابتسامة التى داعبت شفتيه ».

ـ على رسلك ! . لقد أردت أن أعاونك .. فانك قد تعرف الكثير ! . غير انه لا معدى لك عن الالتجاء الى من هم على شاكلتى ، للاحاطة ببعض الأمور التى لا يفهم دقائقها الا أفراد عالمنا .

وهى تعنى بعالمها ، هذا العالم الآخر فى الناحية الأخرى من كل الحدود والقيم .. هذا العالم الذى تعيش فيه لوفتى ومن هم على شاكلتها .

ـ اذا ما كان بواسييه هنا ، أيدنى فى كل ما قلت عن الفريد .

ـ انه فى مكتبه .. فأجازته تبدأ غدا .

ثم أخرجت قصاصة ورق من حقيبتها ، وضعتها امامه وهى تقول :

ـ سأترك لك رقم تليفون المقهى ، فقد يعن لك أن تتصل بى لسبب ما .. واذا ما استدعى الأمر ان تحضر لترانى ، فلا تتردد ولا تخش شيئا .. اطمئن .

ولم يتحقق ميجريه من أنه قد صافح اليد التى مدتها اليه الا بعد أن اغلق الباب خلفها . ولما عاد الى مقعده لاحظ أن الفراشة لم تزل هائمة فى جو الغرفة تبحث عن منفذ تخرج منه ، وأمامها نافذة الغرفة مفتوحة على مصراعيها . ثم تذكر أن زوجته كانت قد طلبت اليه ان يقابلها فى سوق الزهور حوالى الثانيــة عشرة اذا ما سمح له عمله بذلك . فوقف مترددا حائرا ، واتكأ على حافة النافذة يراقب الطريق ساهما .

واخيرا تناول سماعة التليفون بعد أن استقر رأيه على عدم الذهاب لمقابلة زوجته .

ـ اخبر بواسييه أن يحضر لمقابلتى .

وهكذا دارت الايام ، وتوالت الأعوام ، وباعدت ما بينه وبين حادث شارع لالون الطريف . وها هو ذا قد اصبح كبيرا للمفتشين بادارة الأمن العام ، وضابطا من ضباطها الذين يشار اليهم بالبنان . ومع ذلك فانه يشعر بأجنحة الذكرى تحمله الى هذا الجو الذى كان فيــه . وها هو ذا يحن الى كأس من شراب البرنو ، وتمتد

يده الى سماعة التليفون فى عبث أقرب ما يكون الى عبث الأطفال .
ـ حلوانى دوفين .. أرجوك .. الى بكأس من البرنو .
وعندئذ رأى بواسييه يفتح الباب داخلا . فعدل من طلبه قائلا :
ـ بكأسين ! . بكأسين من البرنو .. شكرا .
فلما سمع بواسييه ذلك ، إهتز شاربه جذلا ، ثم اتجه صوب النافذة وقفز الى حافتها وجلس يجفف حبات العرق ، التى كانت تغطى جبهته .

الفصـــل الثانى

وبعد أن استمتعا معا بعدة جرعات من شراب البرنو ، رأى ميجريه ان يدخل فى الموضوع مباشرة . فسأل بواسييه قائلا :
ـ ماذا تعرف عن الفريد جوسيوم ؟ .
ـ فريدى الحزين ؟ .
ـ نعم ..
فزوى بواسييه ما بين حاجبيـــه ، وحـدج ميجريه بنظرة كلها قلق ، ونسى شراب البرنو ، فوضع كأسه جانبا ، وتغيرت نبرات صوته وهو يسأل كبير المفتشين :
ـ هل قام اخيرا بنشاط ما ؟ .
انه بواسييه ، كما كان دائما ، وكما يعرفه ميجريه ، لم يتغير أبدا . بواسييه الذى لم يكن ليرضى عن أحد من كبار المفتشين مثل رضائه عن ميجريه ، الذى كان وحده يعرف خير سبيل للتفاهم معه ..
ولقـد كان من حق بواسييه ، أن يصـبح هو الآخر كبيـرا للمفتشين ، عن جدارة واستحقاق ، منذ وقت طويل ، لولا تلك العقبة التى كانت تقف فى سبيله دائما ، وتحول بينه وبين اجتياز امتحانات الترقية غير مرة ، الا وهى عدم اتقانه فن الكتابة هجاء وأسلوبا .
وقد احسنت الادارة ، عندما قامت بتعيين بيشيه ، كبيـرا

لمفتشى القسم الذى يحمل عبء العمل به بواسييه . فقد كان يشيه شيخا متواكلا خاملا ، مما أتاح لبواسييه ، أن يصبح الرئيس الفعلى لهذا القسم ، غير تارك لرئيسه الاسمى ، الا كتابة التقارير التى كان يتقنها لغة وهجاء .

ولم يكن هذا القسم مختصا بجرائم القتل ـ التى كان يختص بها القسم الذى يراسه ميجريه ـ ولا بالسرقات البسيطة التى يرتكبها رواد وموظفو المحلات التجارية الهواة ومن فى حكمهم .

لقد كان من اختصاص هذا القسم الذى يعمل به بواسييه ، تعقب اللصوص المحترفين من كل نوع ، ابتداء من لصوص الجواهر الذين يركزون نشاطهم فى الفنادق الكبرى بالشانزليزيه ، الى لصوص البنوك ومن فى حكمهم من امثال جوسيوم ، الى آخر هذا النوع من السرقات الجسيمة التى تقع من لصوص محترفين .

أما تلك المعركة التى تدور بين ضباط القسم الجنائى وبين من يتعقبونهم من مجرمين ، فمعركة تتطلب نوعا آخر من الخبرة ، لأنها تتصل بالنفس البشرية ، وبدوافعها الاجرامية ، وتقوم على دراسة انحرافاتها وشذوذها من الالف للياء .

ولم يكن من الأمور غير العادية بالنسبة لطبيعة عمل القسم الأول ، أن تجد بواسييه جالسا فى هدوء ، خارج احد المقاهى مع لص من متسلقى الأسوار والبيوت ، ليتجاذب معه اطراف الحديث على النحو الآتى :

ـ جيلو .. انك لم تقم بنشاط ما منذ وقت طويل .

ـ فعلا يا سيدى .

ـ منذ متى لم نتقابل ؟ .

ـ منذ ستة شهور فيما اظن .

ـ وقد نضب معين مواردك طبعا ! . اليس كذلك ؟ اراهن انك تعد أمرا ما ؟ .

ولم يكن ميجريه ولا غيره من زملائه ، بمستطيع ان ينهج نهج هذا الحديث مع أحد من القتلة الذين يقعون فى دائرة اختصاصهم .

وخاطر احتمال قيام الفريد بنشاط ما دون علم بواسييه اقام

الرجل واقعده . فلما لاحظ ميجريه ذلك منه قال له :
ـ لست متأكدا من أن فريدى قد قام بنشاط ما فعلا ، أو اتم عملا من هذا القبيل أخيرا . الا ان الذى أعرفه تماما ، أن لوفتى كانت هنا وغادرت مكتبى منذ لحظة .

وكان ذلك كفيلا باعادة الثقة الى نفس بواسييه ، فعلق على ما سمعه قائلا :

ـ ان لوفتى لاتعرف شيئا . فالفريد ليس من هذا الطراز من الرجال الذى يفضى بسر عمله الى امرأة ، حتى ولو كانت هذه المرأة زوجته ! .

وتحدث بواسييه عن جوسيوم ، ولم تختلف الصورة التى رسمها عنه ، كثيرا عن تلك التى رسمتها عنه زوجته . وذلك بالرغم مما كان فى الصورة التى رسمها بواسييه من زوايا رسمية .

ـ اتعرف اننى ضقت ذرعا بتضييق الخناق على مثل هذا الرجل ، حتى ينتهى به الأمر اخيرا الى أن يكبل بالأصفاد . وهل تعرف اننى عندما حكم عليه فى آخر مرة بالسجن مدة خمسة اعوام . راودتنى نفسى أن القن محاميه درسا فى فن المرافعة .. وذلك لأننى كنت أشعر بأن هذا المحامى كان ينقصه الكثير ! .

وان كان بواسييه لم يحدد ما يعنيه او يكشف عما تنطوى عليه نفسه بصفة قاطعة ، الا ان ذلك كان واضحا كل الوضوح ، مما لا يحتمل تفسيرا أو تأويلا .

ـ ان الفريد فى محيطه ، ليس له مثيل فى باريس كلها ، انه ليقتحم البيوت الآهلة بالسكان ، دون أن يشعر به أحد ، ودون أن تتنبه لوجوده حتى الكلاب . وهو يتقن عمله فنيا تمام الاتقان ، ويقوم به دون ان يستعين بأحد ما ، حتى ولا فى مراقبة جوار المكان . ويمتاز ، علاوة على ذلك كله ، بهدوء اعصاب يعينه على ارتكاب جريمته فى ثبات واتزان . وهو لا يتعاطى الخمر ، ولا يكثر فى الكلام ، ولا يتردد على الأماكن العامة . وان له من المواهب ما يستطيع بها ان يكبح جماح نفسه ولا يندفع فى عمله . فهو يعرف مثلا اين يجد المئات من الخزائن التى قام بصنعها وبتركيبها

والتى يلم بطريقة فتحها وبأسرار جهازها . وما كان عليه بعد ذلك الا أن يهاجم ما شاء منها ليستولى لنفسه على ما يصبو اليه ويتمنى غير انه لم يفعل ذلك أبدا ، وكان مقلا فى نشاطه ، بالرغم مما صادفه فى المرات القليلة التى قام فيها بذلك من سوء حظ ؟ لم يحصل لنفسه منها الا على النزر اليسير ! .

ثم توقف بواسييه عن مواصلة حديثه فترة قصيرة ، تساءل فيها ميجريه عجبا عما كان يدور بخلده ! .

ومما يدعو للسخرية وللعجب معا من أمر هذا الرجل ، انه لو قدر له أن يقضى فى السجن مدة مهما طالت ، فانه يعود الى نشاطه بمجرد خروجه منه ، حتى ولو كان فى السبعين من عمره وخرج متوكئا على عصاه . وذلك لأن هناك رغبة واحدة تملك عليه نفسه وتشغل تفكيره وتسيطر على كيانه كله . الا وهى تلك الصفقة الكبيرة التى يتوق اليها . صفقة واحدة فقط ، يخلد بعدها للراحة ويعتزل حياة الاجرام . وما اظنه الا ظافرا بها فى هذه المرة ! .

فقال ميجريه ليوضح له الأمر :

ـ أبدا .. لقد كانت هذه المرة بالنسبة اليه أسوأها جميعا . انه فى مأزق لا يحسد عليه . اذ يبدو انه بينما كان يمارس نشاطه بمكان ما بناحية نويللى ، وجد نفسه وجها لوجه أمام جثة فى نفس الحجرة التى كان يعمل بها ويعالج احدى الخزائن .

ـ الم اقل لك انه سيىء الحظ ؟ . ان مثل ذلك لا يمكن أن يحدث الا له . وهل لاذ بالهرب ؟ . وماذا فعل بالدراجة ؟ .

ـ تخلص منها فى نهر السين .

ـ وهل فر الى بلجيكا ؟ .

ـ أرجح ذلك .

ـ هل اتصل ببروكسل ؟ . أم أن هذا لا يهمك الآن ؟ .

ـ بل يهمنى جدا .

ـ وهل تعرف مكان الحادث بالضبط ؟ .

ـ أعرف انه كان بناحية نويللى ، وفى بيت له حديقه وباب حديدى كبير .

ـ وفى ذلك ما سييسر علينا التعرف على المكان . اسمح لى بلحظة أعود بعدها فورا .

ولما خرج بواسييه ، طلب ميجريه كأسين آخرين من شراب البرتو . وانفرد بنفسه ليستعيد الكثير من ذكرياته القديمة ، على نمط هذا الذى وقع قديما فى شارع « لالون » . واستعاد فيما استعاد من ذكريات ، ما كان منها فى مدينة « كان » عندما عهد اليه باحدى تلك القضايا الشديدة التعقيد ، وما كان من انقلابها فجاة الى قضية سهلة مبسطة ، أصبحت اقرب ما تكون الى مادة من مواد اللهو فى موسم الاجازات .

ثم تذكر فجاة ، أن زوجتــه قد طلبت أن يقابلها فى ســوق الزهور ، اذا ما سمح له عمله بذلك . وها هو ذا عمله لم يعد يسمح له بشيء من هذا . حيث عاد بواسييه بدوسيه استخرج منه بعض الصور الفوتوغرافية لألفريد جوسيوم :

ـ اليك مجموعة من الصور التى اخذت له ! .

وكان الوجه ، وجها جادا رزينا ، وليس وجه عابث مستهتر . التصق جلده بعظامه فكادت أن تبرز منه . وبدت نظراته حادة ساحرة . وبالرغم من أن هذه الصور لم تكن الا صورا رسمية ، الا أنها لم تخف طابع الرجل الحزين وكآبة نفسه ، لم تخف لماذا لقب الفريد جوسيوم ، بفريدى الحزين .

ـ هل تحب أن أتلو عليك سجله ؟ .

ـ فيما بعد .. ان ما يهمنى الآن هو القائمة .

وأثلج الطلب الأخير صدر بواسييه سرورا . وكان ميجـريه يعلم مقدما بذلك ، لأنه كان متأكدا من أن بواسييه لا يفوته اعداد مثل هذه القائمة .

ـ هل كنت تعلم اننى ساحضر القائمة معى ؟ .

قالها مزهوا فخورا .

ـ كنت متأكدا من ذلك .

أما هذه القائمة ، فعبارة عن كشف مستخرج من دفاتر مؤسسة بلانشار ، مبينا به جميع الخزائن التى تم تركيبها وإعدادها ابان خدمة الفريد جوسيوم بالمؤسسة .

ـ لحظة حتى أراجع الكشف الخاص بنويللى . هذا اذا كنت واثقا أن الحادث قد وقع فى هذه الناحية ؟ .

ـ بهذا اخبرتنى ارنستين .

ـ ما اظن انها حضرت الى هنا لتلقى على مسامعك ببعض الأكاذيب . ولكن .. لماذا جاءت لمقابلتك بالذات ؟ .

ـ لأنها تعرفنى منذ أن ألقيت القبض عليها من سبعة عشر عاما . وهى لم تنس هذا التاريخ ، بعد أن حاولت تجنب ذلك بطريقة ملتوية .

وهز بواسييه راسه دليلا على احاطته بمثل هذه الحيل والألاعيب . لقد كان كل من الرجلين راسخ القدم فى نواحى عمله ، وطيد الثقة بنفسه . وانتشرت فى جو الغرفة رائحة البرنو ، سائلا أصفر متلألئا فى كأسيه البلوريين . وبدأ بواسييه يراجع القائمة .

ـ بنك .. لا .. ان فريدى لم يكن من عادته ذلك .. فقد كان يخشى اجهزة التنبيه .. هنا شركة بترول .. ولكنها توقفت عن العمل منذ عشر سنوات . وها مصنع للعطور قد أعلن افلاسه منذ عام ! .

وأخيرا توقف القلم فى يد بواسييه عند احد الأسماء ، وقرأ بصوت مرتفع :

ـ جيللوم سيريه ، طبيب إسنان ، ٤٣ ب ، شارع لافيرم ؟ نويللى .. هل تعرف هذا الاسم والعنوان ؟ . هذا الشارع يمر عبر حديقة الحيوان فى محاذاة طريق ريتشارد والاس .

ـ أعرف ذلك .

ـ ثم نظر كل منهما للآخر . وتبادلا ما كان يجول بخاطر كل منهما . وأخيرا قال ميجريه :

ـ هل بين يديك عمل يشغلك ؟ .

ـ كنت اعد بعض الملفات لاننى راحل الى بريتانى غدا .

ـ اذن .. هيا بنا .

ـ مهلا حتى احضر قبعتى .. هل ترى ان اتصل ببروكسل اولا ؟ .

ـ بكل تأكيد .. وبهولاندا ايضا .

ـ حسنا .

واستقلا الاوتوبيس الى بغيتهما .. وما أن وصلا الى شارع دى لافيرم الهادىء الساكن ، حتى اتخذا لهما مكانا حول مائدة على شرفة مطعم صغير ليتناولا طعام الغداء .

ولم يكن هناك من رواد المطعم ، غير ثلاثة رجال من عمال البناء ، يحتسون النبيذ الأحمر مع وجباتهم الخفيفة . وفى الناحية الاخرى من الطريق ، كانا يريان امامهما بابا كبيرا من الحديد المطروق ، لا يستبعد ان يكون هو المعنى برقم ٤٣ ب .

ولم يكونا على عجلة من أمرهما . فان صح أن هناك جثة ما فى هذا البيت فقد كان لدى القاتل متسع من الوقت ، يتخلص فيه من هذه الجثة .

وقامت بخدمتهما احدى فتيات المحل ، واقبل عليهما مديره يرحب بهما ويحييهما .

ـ الجو جميل يا سادتى .

ـ الجو جميل فعلا .. هل يوجد طبيب أسنان بالقرب من هذا المكان ؟ .

هناك فى الجانب المقابل لنا .. ولكننى لا اعرف مدى خبرته . ان زوجتى تفضل طبيبا آخر فى شارع سباستبول .. واعتقد ان الطبيب المقابل لنا مرتفع الاجر ، لاننى لا ارى الكثيرين من المرضى يترددون عليه .

ـ هل لك به معرفة ؟ .

ـ قليلا ..

وتوقف مدير المطعم قليلا ، وراح يتأملهما فاحصا ، ثم استقر نظره على بواسييه .

ـ انكما من ضباط الشرطة .. اليس كذلك ؟ .

ورأى ميجريه انه من الأوفق أن يجيب بالايجاب .

ـ هل ارتكب شيئا ؟ .

ـ اننا نقوم بجمع بعض التحريات فقط . كيف يبدو ؟ .

ـ أكثر طولا وأضخم جسما منى ومنك .

قال ذلك وهو يتوجه بنظراته الى كبير المفتشين .

ـ انه عملاق ضخم ! .

ـ وكم يبلغ من العمر ؟ .

ـ حوالى الخمسين .. ان هيئته لا تحمل على الاعتقاد بأنه طبيب أسنان .. كما يبدو فى عينى من يراه ، أقـرب ما يكون لتلك الهيئة التى يبدو بها الرجل الأعزب .

ـ انه غير متزوج ؟ .

ـ مهلا .. فى الواقع ، وعلى قدر ما أذكر ، قد تزوج فعلا ، وكان ذلك منذ عامين تقريبا . ويوجد بالمنزل ايضا امرأة مسنة هى والدته فيما أظن . وهى التى تخرج للسوق كل صباح .

ـ أيوجد لديهم خادم ؟ .

ـ لا .. اللهم الا امرأة تحضر فى كل صباح لتؤدى ما تتطلبه نظافة البيت من أعمال فى ساعة أو ساعتين . ولكننى لست متأكدا من كل هذا الذى أتحدث به .. اننى لا أعرفه الا معرفة سطحية أتاحتها لى رغبته فى التردد على المطعم لتناول كأس من الخمر خلسة ..

ـ خلسة ؟ ! .

ـ نعم .. فليس من عادة من هم من طبقته أن يترددوا على مكان مثل هذا . فاذا ما عن له فى وقت ما أن يفعل ذلك ، يفعله خلسة محاذرا أن يراه أحد . وهو لا يتعاطى غير النبيذ الأحمر ، ويطلب منه أكثر من كأس ، يزدردها دفعة واحدة ، ثم يدفع الحساب ويخرج مسرعا .

ـ وهل كنت تلاحظ تأثير الخمر عليه ؟ .

ـ لا .. وكنت الاحظ انه بمجرد أن يشرع فى الانصراف يضع فى فمه شيئا حتى لا تفوح منه رائحة الخمر .

ـ وكيف تبدو والدته ؟.

ـ انها امرأة مسنة ضئيلة الجسم تتشح بالسواد . وهى منطوية على نفسها لا تميل الى الاختلاط بأحد .

ـ وزوجته ؟ .

ـ لم ارها الا فيما ندر ، عندما كانت تخرج معه فى السيارة ولكننى سمعت انها أجنبية . وهى تشبهه ضخامة وطولا .

ـ وهل تظن انهم غائبون عن المنزل فى عطلة ؟ .

ـ يمكن التحقق من ذلك . ان آخر مرة رأيته فيها منذ يومين أو ثلاثة عندما قدمت اليه كأسين من النبيذ الأحمر .

ـ منذ يومين أو ثلاثة ؟ .

ـ أمهلنى لحظة . فقد كان ذلك عندما حضر العامل ليصلح مضخة البيرة . سأتأكد من هذا بسؤال زوجتى .

ولما استفسر من زوجته ، تأكد له أن ذلك كان من يومين سابقين ، أى فى يوم الثلاثاء ، قبل أن يكتشف الفريد جوسيوم عن جثة المرأة ببضع ساعات .

ـ هل بوسعك ان تذكر على وجه التحديد متى كان ذلك ؟.

ـ لقد كان يحضر دائما حوالى السادسة والنصف .

ـ من البيت مباشرة ؟.

ـ نعم .. الا يمكن ان تطلعنى على السبب فى كل هذه الأسئلة ؟ .

ـ ليس هناك أى سبب على الاطلاق . انها مجرد تحريات .

ولكن الرجل لم يقتنع بذلك . وبدا هذا فى عينيه واضحا جليا . وعندما هما بالانصراف سألهما :

ـ هل ستعودان ؟ .

ثم نظر الى كبير المفتشين موجها كلامه :

ـ أو يمكن ان تكون المفتش ميجريه ؟ .

ـ ومن أخبرك بذلك ؟ .

ـ لقد صرح احد هؤلاء الرجال الثلاثة بأنه عرف شخصيتك.

فاذا ما صح ذلك ، فستسر زوجتى كثيرا بأن تراك حقيقة ماثلة أمامها .

ـ فليكن ذلك عند عودتنا .

وسارا جنبا الى جنب ، فى الجانب المطل من الشارع .. ميجريه يدخن غليونه ، وبواسييه يعبث بلفافة تبغ بين اصابعه . وكما هو الحال فى اية مدينة صغيرة تبعد عن باريس بحوالى خمسين ميلا ، كان هناك من المنازل الخاصة المستقلة ، اكثر مما كان من العمارات والشقق . كما كان من بينها بعض الفيلات الكبيرة التى سبق لبعض الأسر أن شيدتها منذ قرن أو اكثر .

ولم يكن بهذا الشارع باب حديدى كبير ، غير هذا الباب الذى يقع فى مواجهة المطعم الصغير ، وكانت تمتد خلفه حديقة من النجيل الأخضر ، بدت تحت اشعة الشمس يانعة مزدهرة . وعلى اللافتة النحاسية كتب بحروف كبيرة :

جيللوم سيريه
جراح اسنان

وبحروف صغيرة :

من الساعة الثانية الى الخامسة مساء

بناء على موعد سابق

وكانت اشعة الشمس تنعكس على واجهة المنزل ، فتشع حجارته بلونه الأصفر الزاهى ، وكانت جميع نوافذ المنزل مغلقة ، الا نافذتين تركتا مفتوحتين ، ولاحظ بواسييه تردد ميجريه .

ـ هل ستدخل ؟ .

ـ وماذا سنخسر من ذلك ؟ .

وقبل أن يعبرا الشارع ، نظر ميجريه يمنة ويسرة ، وفجأة زوى ما بين حاجبيه ، واتجه نظر بواسييه الى حيث كان زميله يحدق النظر وقد تسمرت عيناه . ثم صاح دهشا :

ـ لوفتى ! .

وكانت تتقدم في هذه اللحظة ، من ناصية شارع ريتشارد والاس ، واضعة على راسها نفس القبعة الخضراء التي كانت تضعها في الصباح . وما أن وقع نظرها على ميجريه وبواسييه ، حتى توقفت لحظة ، ثم استأنفت سيرها في اتجاههما .

ـ هل كان ظهوري مفاجأة لك ؟ .

ـ اذن فقد حصلت على العنوان ؟ .

ـ لقد اتصلت بمكتبك تليفونيا منذ نصف ساعة . واردت بذلك ان أخبرك بأنني تمكنت من الحصول على القائمة ، التي كنت متأكدة من انها يجب ان تكون موجودة في مكان ما ، لانني سبق أن رأيت الفريد يراجعها ، ويؤشر على بعض ما هو مدون بها .. وما ان انصرفت من مكتبك صباح اليوم ، حتى خطرت لي فكرة عن المكان الذي يحتمل ان يكون الفريد قد أخفاها فيه .

ـ أين ؟ .

ـ وهل يتعين على ان أخبرك بذلك ؟ .

ـ قد يحسن بك ذلك .

ـ اني أفضل الا أفعل ذلك على الأقل في الوقت الحاضر .

ـ وماذا وجدت غير ذلك ؟ .

ـ وكيف علمت بأنني عثرت على غير ذلك ؟ .

ـ لأنه لم يكن معك نقود هذا الصباح ، فكيف تسنى لك أن تنتقلي الى هنا !

ـ فعلا . لقد وجدت مبلغا من المال .

ـ مبلغا كبيرا ؟ .

ـ أكثر مما كنت أنتظر .

ـ وهل تحتفظين بالقائمة ؟ .

ـ لا . لقد أحرقتها .

ـ ولماذا ؟ .

ـ بسبب ما فيها من تأشيرات ، قد تكون دليلا على الأماكن التي سبق لالفريد ان اقتحمها . ومهما يكن من أمر فلست مستعدة أن ازودك بأي دليل ضده .

ثم اتجهت بنظرها الى المنزل !
ـ هل ستحاول الدخول ؟ »
فأومأ ميجريه برأسه ايجابا .
ـ ألديك ما يمنع من أن انتظرك بالمقهى ؟ »
ـ كما تريدين .

ولم تكن قد وجهت كلمة طوال هـذا الحديث لبواسييه الذي وقف من ناحيته يحدق النظر فيها بعينين حادتين .
وتحرك ميجريه من دائرة الظل يتبعه بواسييه ، حيث سارا تحت وهج أشعة الشمس المحرقة ، على حين اتجهت ارنستين الى شرفة المقهى .

كانت الساعة قد جاوزت الثانية بعشر دقائق . واذا لم يكن الطبيب متغيبا في اجازة ، فلابد أن يكون الآن ، في انتظار مرضاه بناء على ما هو مسطر باللافتـة النحاسية . ولاحظ ميجريه أن هناك زر جرس كهربي على يمين الواقف بالباب . وما أن ضغط عليه ، حتى فتح الباب على مصراعيه أوتوماتيكيا . واجتاز الحديقة الصغيرة مع زميله ، حيث وجـدا أمامهما بابا آخر ، فقام مرة أخرى بضغط زر الجرس ، الذي اتضـح أنه لا يعمـل بطريقة أوتوماتيكية كالأول . وانتظر الرجلان فترة غير قصيرة وقد أصاخا ثم نظر كل منهما للآخر . عندما خيل اليهما انهما يسمعان حركة ما خلف الباب . وأخيرا سـمعا فعلا صوت قفل يفتح وسلسلة تسحب ، ثم صوت مزلاج يرفع تنفرج بعده فتحة صغيرة في الجزء العلوي من الباب .

ـ هل هناك موعد ؟ .
ـ نريد مقابلة مسيو سيريه .
ـ انه لا يقابل أحدا الا بناء على موعد سابق .
ولم تنفرج الفتحة بأكثر مما انفـرجت به . الأمـر الذي لم يسمح لهما بأن يريا أكثر من ظل وجه امرأة مسنة .
ـ بناء على ما سطر على اللافتة النحاسية .
ـ أن اللافتة في مكانها منذ خمسة وعشرين عاما .

ـ هل لكَ فى أن تبلغى ابنك أن المفتش ميجـريه يرغب فى مقابلته ؟ .

ومرت فترة اخرى قبل أن يفتح البـــاب ، الذى كشف عن ردهة متسعة قد شكلت أرضها من الرخام الابيض والأسود ، فبدت كدهليز من دهاليز الأديرة القديمة ، وكانت السيدة العجوز التى تخطت الى الخلف لتفسح لهما الطريق ، أقرب ما تكون شبها فى ثيابها براهبات تلك الأديرة .

ـ معذرة يا سيدى المفتش ، لأن ولدى لا يهتم بمقابلة المرضى العابرين .

ولاحظ ميجريه أن هذه السيدة تتمتع بشخصية قوية وبرقة أصيلة علاوة على ماتكتسى به من وقار . وكانت تحاول بابتسامتها أن تزيل من نفسه ما يكون قد علق بها نتيجة لتصرفها الاول معه.

ـ تفضل بالدخول . اخشى انك ستضطر للانتظار قليـــلا . فقد اعتاد ولدى منذ بضع سنين ، أن يرتاح فى وقت القيـــلولة ، وبالذات فى فصل الصيف . تفضل من هنا يا سيدى .

وقامت بفتح باب على يسار الداخل . ولاحـــظ ميجريه ان الباب من خشب البلوط المتقن الصنـــع . كما لاحظ انه قريب الشبه بأبواب الأديرة ، ان لم يكن احسن منها جودة ورونقـــا .. ونفذت الى انفه رائحة هادئة ساحرة تأخذ بالألباب . وقد ذكرته هذه الرائحة بشيء ما حاول أن يدرك كنهـــه ، ولـــكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا . وكانت نوافذ حجرة الضيوف التى قادتهم اليها مغلقة ، مما جعل الحجرة فى شبه حالة من الاظلام الا من هـــذا البصيص الخافت من الضوء الذى تمكن ان ينفـــذ من النوافذ المغلقة . ولمـــا خطا ميجريه داخلا الحجرة ، خيل اليه أنه يخطو الى صالة حمام رطب بارد .

ولمـــا احتوتهم الغرفة ، وجـــد ميجريه نفسه فى عالم قائم بذاته ، غير هذا العالم الذى كان فيه منذ لحظة ، حتى ضوضاء المدينة لم تعد تنفذ الى سمعه . ورأى ان هذا المنزل بكل ما فيه قد ظل على حاله الذى كان عليه منذ قرن من الزمان . فهـــذه

المقاعد ، وتلك المناضد ، وهذا البيانو بكلّ ما عليه من تحف ، تقف جميعا فى مواضعها التى كانت بها لم تتحرك ولم تنقلها يد . حتى تلك الصور الفوتوغرافية الكبيرة المثبتة على الجدران فى اطارها الخشبى الاسود ، تحكى تاريخ قرن مضى ، بأزيائه وبتقاليده وبزينة قومه . وقد رأى من بينها صورة لسيدة فى الأربعين كانت أقرب شبها بشعرها المقوص ، من الامبراطورة اوجينى .

وخيل اليه ، ان هذه السيدة التى تقف معهما ، وتدعوهما للجلوس عاقدة ما بين يديها ، ما هى الا ملاك للرحمة قد برز من احدى تلك الصور القديمة .

ـ لست احب ان تظن بى الفضول ، سيدى المفتش ، الا انه لا يوجد بينى وبين ولدى أسرار ما . اننا لم نفترق طوال حياتنا ، مع انه قد جاوز الخمسين . وليست عندى كما ترى أية فكرة عما اتى بك الى هنا . وأحب أن تعطينى فكرة عن ذلك قبل أن أزعجه ...

ولم تتم ما كانت تزمع قوله ، واكتفت بتأملهما بابتسامة رقيقة .

ـ ان ابنك متزوج فيما أعتقد ؟ .

ـ لقد تزوج مرتين .

ـ وهل زوجته الثانية موجودة بالمنزل ؟ .

فطافت سحابة من الحزن بعينيها ، وبدا القلق يستحوذ على بواسييه ، فلم يكن هذا المنزل بالمكان الذى يناسبه .

ـ انها لم تعد تقيم معنا يا سيدى المفتش .

واتجهت الى الباب تغلقه فى هدوء ، ثم عادت الى احدى الارائك لتجلس على حافتها منتصبة القامة ، كما تجلس الفتيات الصغار فى حياتهن الأولى بمدارس الراهبات ، ثم سألته فى صوت خفيض :

ـ أرجو الا تكون قد ارتكبت خطأ ما ؟ .

فلما لم يجبها ميجريه بشىء ، تنهدت عاقدة العزم على مواصلة حديثها !

ـ اذن فقد كنت على حق فى الاستفسار منـــك عن سبب حضورك ، ما دام الأمر يتعلق بها . انك حضرت فى شأن يخصها أليس كذلك ؟ .

فهل بدا من ميجريه ما ينم عن شيء من ذلك ؟ لقد حرص كل الحرص على الا تبدر منه بادرة يمكن أن يشتم منها شيء ما . لقد كان مأخوذا بكل ما فى هذا المنزل ، وبالذات بهذه المرأة التى كانت تخفى وراء ضعفها ارادة عارمة قوية .

ان كل ما فى هـذه المرأة ، كان يدل على ذوق جميل : ثيابها وهندامها وصوتها . انها جديرة بأن تجدها فى قصر من القصور القديمة الموجودة فى الريف أو فى متحف من تلك المتاحف التى تحكى تاريخ عصور ولت وانقضت .

ـ بعد أن توفيت زوجة ولدى منذ خمسة عشر عاما ، لم يفكر فى الزواج مرة أخرى .

ـ لقد تزوج مرة أخرى منذ عامين . هذا اذا لم اكن مخطئا ؟.

ولم تدهش لسماعها ذلك ، ولم تعجب من احاطة المفتش بهــذه المعلومات .

ـ لقد تزوج فعلا ، منذ عامين ونصف على وجه التحديد . لقد تزوج من احدى مرضاه ، ولم تكن صغيرة السن حينئذ ، انها كانت فى السابعة والأربعين من سنى حياتها ، هولندية الأصل ، تعيش بمفردها فى باريس ، إن العمر لن يطول بى كثيرا يا سيدى المفتش ، فاننى فى الثامنة والسبعين كما ترى .

ـ ان هذا لا يبدو من مظهرك .

ـ أعرف ذلك . لقـــد عاشت والدتى حتى بلغت الثانيـه والتسعين . وكانت جدتى فى التاسعة والثمانين عندما قتلت فى حادث ما .

ـ ووالدك ؟ .

ـ لقد مات فى سن مبكرة .

قالت ذلك ، وكأنها كانت ترى انه من المســـلم به أن يموت الرجال فى سن مبكرة ، غير متجاوزين مرحلة الشباب .

ـ وكنت انا التى شجعته على الزواج مرة اخرى ، حتى لا يعيش وحيدا بعد موتى .

ـ وهل كان هذا الزواج زواجا غير موفق ؟ .

ـ لست ادرى كيف اعبر عن حقيقة الأمر تعبيرا دقيقا ، واعتقد ان السبب فيما كان ، يرجع اصلا الى انها اجنبية . ان هناك الكثير من الأمور الدقيقة التافهة التى لا يمكن ان يعتادها المرء . اننى فى حيرة كيف اوضح لك ذلك . فلنبدأ بمسألة الطعام مثلا ! فهى تفضل هذا اللون او ذاك ! ولعلها عندما تزوجت بابنى كانت تتصور انه اكثر ثراء من حقيقته .

ـ الم يكن لها دخل خاص بها ؟ .

ـ الى حد ما . كانت حالتها لا بأس بها . ولكن ارتفاع مستوى المعيشة . !

ـ ومتى توفيت ؟ .

ـ توفيت ؟ ! .

وحملقت السيدة بعينيها دهشة فى وجهه وهى تردد ذلك .

ـ انى آسف لما بدر منى ، فقد كنت اظن انها ماتت . لأنك كنت تتحدثين عنها بضمير الغائب .

فابتسمت عند سماعها ذلك .

ـ هذا حق . ولكن الأمر ليس كما تبادر الى ذهنك ، انها لم تمت ، وان كانت بالنسبة لنا قد ماتت بعد أن فارقتنا .

ـ وهل كان ذلك على اثر شجار ؟ .

ـ ان جيللوم ليس من هذا الطراز .

ـ معك مثلا ؟ .

ـ ولا معى يا سيدى المفتش . فقد بلغت سنا يعاب على المرء فيه ما يفعل . ورأيت من الحياة الكثير ، ومررت بتجارب عديدة مما يتيح لى أن ...

ـ متى تركت المنزل ؟ .

ـ منذ يومين .

ـ وهل اخبرتك بانها عازمة على ذلك ؟ .

ـ لقد كنا نعلم انها ستتركنا فى يوم ما ، وانه لا مفر من بعدها عنا فى نهاية الأمر .

ـ وهل تحدثت اليك بشىء من هذا القبيل ؟ .

ـ من وقت لآخر .

ـ وهل ذكرت لك شيئا عن السبب ؟ .

ولم تسرع بالاجابة فى هذه المرة . بل تمهلت قليلا قبل أن تقول :

ـ اتحب ان أخبرك صراحة بما أفكر فيه ؟ لقد ترددت بخشية أن تسخر مما أقول . وما كنت لأحب أن أناقش مثل هذه الأمور فى حضرة الرجال . ولكننى أعتقد أن ضابط الشرطة لا يقل عن الطبيب أو الكاهن فى هذه الناحية .

ـ أظن انك كاثوليكية تتبعين كنيسة روما ؟ .

ـ نعم .. وكانت زوجة ابنى بروتستانتية . ولم يكن هذا ليغير من الأمر شيئا . لقد كانت فى ادق مرحلة من عمر اية امرأة .. هل تفهمنى .. اننا جميعا نجتاز هذه الفترة التى نفقد فيها الثقة بأنفسنا ، ونمر بهذه التجربة التى تذهب بنا مذاهب شتى من الفكر والخيال .

ـ فهمت ما تعنين . أهذا كل ما فى الأمر ؟ .

ـ هذا وغيره على الأرجح . وانتهى بها الأمر اخيرا ، الى انها لم تكن تفكر الا فى هولندا ، مسقط رأسها الأصلى ، وكانت تقضى طوال النهار وطرفا من الليل ، فى الكتابة الى اصدقائها الذين احتفظت بهم فى هذه البلاد .

ـ الم يصحبها ابنك فى رحلة الى هولندا ؟ .

ـ نعم . لم يصحبها .

ـ وهل كان سفرها فى يوم الثلاثاء ؟ .

ـ لقد استقلت قطار الساعة التاسعة والأربعين دقيقة من محطة الشمال .

ـ قطار الليل ؟ .

ـ نعم . فقد قضت النهار فى اعداد حقائبها .

ـ وهل توجه ولدك معها الى المحطة ؟.

ـ لا .

ـ وهل استقلت سيارة أجرة ؟.

ـ لقد خرجت لأستحضار احداها من ناصية شارع ريتشارد والاس .

ـ وهل اتصلت بكما بعد ذلك ؟ .

ـ لا . وما اظنها شعرت بأن الأمر يستلزم الكتابة الينا .

ـ وهل كان هناك مشروع طلاق ؟ .

ـ لقد اخبرتك بأننا ندين بالكاثوليكية . اضف الى ذلك أن ولدى ليس به رغبة فى الزواج مرة ثالثة . الا اننى لازلت اجهل السبب فى زيارة الشرطة لنا .

ـ بودى لو علمت منك يا سيدتى ، تفصيل ما حدث هنا ليلة الثلاثاء ، وقبل أن تجيبينى عن استفسارى ، احب أن أعلم اولا الاجابة عما يأتى : هل كان لديكم خادم ؟ .

ـ لا . ان أوجينى تعمل لدينا فى ساعات معينة فقط . فهى تحضر فى التاسعة صباحا وتنصرف فى الخامسة مساء .

ـ وهل هى بالمنزل الآن ؟ .

ـ ان اليوم هو يوم عطلتها . وستكون هنا غدا صباحا .

ـ وهل تقيم بالقرب من هذا المكان ؟ .

ـ أنها تقيم فى بوتو ، على الضفة الأخرى من السين ، فى مواجهة الجسر مباشرة .

ـ اظنها قد ساعدت زوجة ابنك فى اعداد حقائبها ؟ .

ـ وحملت الحقائب الى الطابق الأرضى .

ـ وكم كان عددها ؟ .

ـ صندوق وحقيبتان من الجلد على وجه التحديد . غير صندوقين صغيرين ، احداهما للجواهر والثانى لمفردات الزينة من عطور وغيرها .

ـ وهل انصرفت أوجينى فى الخامسة كعادتها ؟.

ـ نعم ! ما فى ذلك شك . وارجو ان تغفر لى ما تراه من

اضطراب فى أقوالى . وفى الحق أن هذه أول مرة أتعرض فيها لمثل هذا الاستجواب ، ويجب ان أعترف .

ــ وهل خرج ولدك من المنزل فى ذاك المساء ؟ »

ــ أى وقت تعنى بسؤالك ؟.

ــ فلنقل قبل العشاء مثلا .

ــ خرج يجول قليلا كعادته .

ــ أظن انه خرج لتعاطى قليل من الخمر ؟.

ــ ان ولدى لا يقرب الخمر .

ــ مطلقــا ؟ .

ــ لا شىء غير كأس من النبيذ مع وجبة الغداء .

ولاحظ ميجريه أن زميله يحاول جاهدا ان يتحكم فى اعصابه بالعبث فى شاربه .

ــ وما ان عاد ولدى من جولته ، حتى جلسنا نتناول طعــام العشاء . . لقد اصبحت هذه الجولة من اشد عاداته التصاقا به ، بعد أن كان يخرج عند كل غروب ، مصطحبا معه الكلب الذى كنا نقتنيه .

ــ الا يوجد لديكم كلاب فى هذه الأيام ؟ .

ــ نعم . لم نكرر ذلك منذ أن نفق بيبى من اربعة اعوام .

ــ ولا قطط ؟ .

ــ لم تكن زوجة ابنى لتطيق مثل هــذه الحيوانات . أرأيت هاأنذا أشير اليها مرة أخرى بضمير الغائب . وفى الحق أن مرجع ذلك الى ما يسيطر علينا من شــــعور بأنها اصــبحت جزءا من المــاضى .

ــ وهل كنتم الثلاثة تجلسون معا الى مائدة الطعام ؟.

ــ كانت ماريا تدخل القاعة فى نفس الوقت الذى احمل فيه الحساء .

ــ وهل حدث ذلك فى تلك الليلة ؟.

ــ نعم . كما كانت عادتنا دائما .

ــ ألم يقع شجار أو تدور مناقشة فى أثناء ذلك ؟.

ـ لم يقع شيء من هذا القبيل • ولم يتفوه احد منا بكلمة فى أثناء جلوسنا الى المائدة • الا اننى لاحظت ان جيللوم كان واجما لقد حاول فى مبدأ الأمر أن يبدو غير مكترث ، الا أنه لم يستطع ان يستمر فى ذلك ، لأنه كان مرهف الشعور كما تعودت أن أراه دائما • ولم يكن الفراق بالشيء اليسير بين شخصين عاشا معا أكثر من عامين •

وما سمعته السيدة المسنة التى جاوزت السبعين ، لم يسمعه كل من ميجريه أو بواسييه ، ولكنهما لاحظا انها تصيخ لشيء • ولعلها قد جانبها التوفيق فى ذلك • حيث ان ميجريه بمجرد أن ادرك هذا ، نهض عن مقعده واتجه صوب الباب وفتحه ، فوجد نفسه وجها لوجه أمام رجل أطول منه قامة واعرض منكبين واثقل وزنا ، وقد اصطبغ وجهه بحمرة الخجل ، لضبطه متلبسا باستراق السمع ، مستترا وراء الأبواب الموصدة •

ويبدو ان والدته كانت صادقة ، عندما قالت ان ولدها فى راحة القيلولة ، اذ كان شعره غير ممشط ، تتدلى خصلة منه على جبهته ، كما دلت ثيابه فى مجموعها على انه نهض مسرعا من نومه واخيرا قال له ميجريه :

ـ هلا تكرمت بالدخول يا مسيو سيريه ؟•

ـ انى أعتذر عما كان منى • لقد سمعت اصواتا فاعتقدت • • •

وكان يتكلم فى ثبات متنقلا بنظراته بينهم جميعا •

ثم نهضت والدته عن مقعدها وهى تقول موضحة للأمور :

ـ هذان السيدان من ضباط الشرطة •

ولم يسألها ايضاحا اكثر مما قالت • وعاد يحملق فى وجوههم جميعا مرة إخرى ، وهو يصلح من شأن هندامه •

ـ أخبرتنا السيدة سيريه ، بأن زوجتك قد رحلت فى اليوم الأسبق •

وما أن سمع ذلك ، حتى استدار ناحية السيدة العجوز ليواجهها وقد زوى ما بين حاجبيه مقطبا جبينه ، ثم سألها وهو يضغط على كل حرف من كلماته قائلا :

ـ ماذا يريد هذان السيدان على وجه التحديد ؟ .
ـ لست أدرى .
وقد أسقط فى يد ميجريه . اما بواسييه فكان يتساءل عن الطريقة التى سيتخلص بها رئيسه من هـذا الموقف . فلم يكن هؤلاء الناس ممن تنفع معهم اسـاليب رجال الشرطة المتعارف عليهـا .
ـ فى الواقع يامسيو سيريه ، أن موضوع زوجتك جاء عرضا فى أثناء حديثنا . لقد اخبرتنا والدتك انك كنت تأخذ قسطك من الراحة . فتجاذبنا أطراف الحديث لنقطع الوقت فى انتظارك . لقد جئنا الى هنا ، زميلى وانا ، لأن لدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأنك كنت ضحية لشروع فى سرقة .
ولم يكن سيريه بالرجل الذى يخشى مجابهة غيره وجها لوجه فحدج ميجريه بنظرة فاحصة ، وكأنه يريد بها أن يسبر اعماق نفسه .
ـ على أى أساس واتتك هذه الفكرة ؟ .
ـ مثل هذه المعلومات تصلنا احيانا بطريقة سرية .
ـ لعلك تعنى بذلك مرشدى الشرطة ؟ .
ـ فليكن الأمر كذلك .
ـ يؤسفنى ان اخيب ظنكما .
ـ أو يعنى هذا ان منزلك لم يتعرض للسطو ؟ .
ـ لو حدث ذلك ، لكنت أول من يبلغ السلطات المحلية به .
ولاحظ ميجريه ، ان هذا الرجل كان ابعد ما يكون عن التفاهم او عن ان تلين له قناة .
ـ ومع ذلك ففى حوزتك احدى الخزائن ؟ .
ـ أعتقد انه من حقى ان ارفض اجابتك عما تسال عنه . ومع ذلك فلن يضيرنى فى شىء ان اقرر لك اننى أقتنى احداها .
وكانت والدته تحاول من ناحيتها ان تلطف من حدته باشارات منها ، وبالرغم من ادراكه ذلك ، فقد ظل على حاله لا يتغير .
ـ وهى ، اذا لم اكن مخطئا ، احـدى تلك الخزائن التى قام بتركيبها اخوان بلانشار منذ ثمانية عشر عاما .

وظل الرجل واقفا في مكانه لا يتحرك ، ثابتا كالطود ، لا يزعزعه شيء . وعاد كل من ميجريه وبواسييه الى الجلوس في ركن مظلم من الحجرة ، وراح ميجريه يتأمل الرجل مقارنا بين هيئته وبين احدى الصور الفوتوغرافية المثبتة على الجدران .

ــ لا اذكر على وجه التحديد متى وضعت في بيتي . كما انه ليس من شأن كائن من كان أن يعرف متى كان ذلك .. ان هذا الأمر من شأني انا وحدي .

ــ لاحظت عند دخولنا ان الباب محصن بسلسلة وقفل .

ــ هذا شأن الكثير من ابواب المنازل .

ــ اظن ان غرف النوم بالطابق العلوى .

وتعمد سيريه الا يجيب بشيء .

ــ واظن ان غرفة المكتب والعيادة بالطابق الأرضى ؟.

وفهم ميجريه باشارة من يد السيدة أن الغرفتين المذكورتين تقعان بجوار غرفة الضيوف التى كانوا يجلسون بها .

ــ هل تسمح لي بالقاء نظرة على المكان ؟.

وفغر الرجل فاه ، وفهم ميجريه انه على وشك أن يجيب بلا وادركت ذلك والدة الرجل ايضا فتدخلت قائلة :

ــ ماذا يمنع من اجابتهما الى ما يطلبان ؟ فلعلهما أن يريا ويقتنعا بأن شيئا مما يقولان لم يقع .

ورفع الرجل كتفيه استهتارا ، ولم يتخل عن عناده وصلابة رأيه ، كما ظل واقفا في مكانه ، ولم يتحرك ليصحبهما الى الغرف المجاورة .

وتقدمتهما السيدة سيريه الى حجرة مكتب هادئة من الطراز القديم على نمط حجرة الضيوف . ووقع نظرهما على خزانة كبيرة الحجم ، خلف مقعد من الجلد الأسود .. وخطا بواسييه نحو الخزانة ، وفحصها من الخارج بعين خبير وبلمسات فنية حاذقة . فعلقت السيدة على ذلك قائلة :

ــ أنت ترى ان كل شيء على ما يرام .. ارجو الا تعلق على تصرف ولدى معكما . ولكن ...

ثم توقفت فجأة عن اتمام حديثها ، عندما رأت ابنها فى فرجة الباب يسلط عليهم نظراته القاسية الحانقة .

وتحركت نحو دولاب الكتب ، وهى تشير بيدها قائلة :

ـ لا يدهشك هذا الجمع من كتب القانون . انها كانت لزوجى الذى كان يعمل محاميا .

ثم تقدمت لتفتح بابا آخر يؤدى الى غرفة العيادة ، التى كانت بسيطة عادية بكل ما فيها من معدات وأدوات لجراحة الأسنان .. وكان النصف الأسفل من زجاج النوافذ من الزجاج الأبيض السميك .

وفى عودتهم ، مجتازين غرفة المكتب ، عرج بواسييه على احدى النوافذ الموجودة بها ، ومر بأصابعه عليها ، ثم اوما براسه الى ميجريه ، الذى ادرك بدوره ماكان يعنيه زميله بذلك .

ـ هل ثبت زجاج هذه النافذة حديثا ؟

فأجابت السيدة فورا :

ـ منذ اربعة أيام . فقد أطاحت العاصفة بزجاج هذه النافذة ولعلك تذكر قيام هذه العاصفة ؟

ـ وهل قام باصلاحها العامل المختص بذلك ؟

ـ لا .

ـ اذن فمن يكون غيره ؟

ـ ابنى . انه يميل للقيام بمثل هذه الأعمال . وهو الذى يقوم بمثل هذه الاصلاحات البسيطة التى نحتاج اليها أحيانا .

وهنا قال جيللوم سيريه فى عصبية ظاهرة :

ـ ليس لهذين السيدين اى حق فى مضايقتنا بمثل هذه الاسئلة . اماه ! ارجو الا تجيبيهما عن شىء بعد ذلك .

فأدارت السيدة ظهرها لولدها ، وابتسمت لميجريه ابتسامة فهم منها أنها تريد أن تقول له :

ـ لاعليك منه . لقد سبق لى ان انبأتك بذلك .

ثم تقدمتهما الى باب المنزل ، على حين ظل ولدها واقفا فى غرفة الضيوف وعند الباب مالت على ميجريه هامسة :

ـ اذا كان هناك ما تريد أن تقوله لى ، فلتحضر لمقابلتى عندما لايكون موجودا .

وخرجا الى ضوء النهار ، حيث عادا ليصطليا بحرارة الشمس وما ان اجتازا باب الحديقة الحديدى ، حتى لمحا ارنستين بقبعتها الخضراء ، جالسة بشرفة المقهى عبر الشارع .

وعندئذ توقف ميجريه عن متابعة سيره . ولعله كان يفكر فى الانعطاف يسارا ليتجنب لقاءها . لأنه كان يخشى ماقد يتبادر الى ذهنها ، من ان عليهما ان يخبراها بطرف مما كان .

واخيرا قرر كبير المفتشين أن يتوجه الى حيث كانت تجلس لوفتى ، التى كانت تتأملهما وهمـا فى طريقهما اليها ، بنظـرات فضول مستفسرة .

الفصـل الثالث

ـ ماذا كان من عملك اليوم ؟.

بهـذا سألت السيدة ميجريه زوجها عندما جلسا يتنـاولان طعامهما أمام النافذة المفتوحة .

وكانا يشاهدان فى المنازل المقابلة ، كثيرا من الناس يتناولون طعامهم أيضا ، وقد اكتفى الرجال بارتداء قمصانهم نتيجة لحرارة الجو الشديدة . وكان البعض الآخر ممن فرغوا من تناول طعامهم يطلون من نوافذهم ، متكئين بمرافقهم على قواعدهـا . وكنت تسمع نغمات الموسيقى المنبثقة من الراديو ، مختلطة بصيـاح الأطفال وبضوضاء المكان كله .

ـ لا شىء غير ما تعرفين من طبيعة عملنا . هناك امرأة يقال انها قد قتلت . ويرجح أن تكون حية ترزق فى مكان ما .

ورأى انه من سبق الحوادث أن يتحدث بأكثر من ذلك . كما انه كان يشعر فيما بينه وبين نفسه ، بأنه كان متراخيا الى حد ما فى تصرفه . لقد أمضى ثلاثتهم ، هو وبواسييه وارنستين ، وقتا طويلا فى جلستهم بشرفة المقهى فى شـارع دى لافيرم ، وكانت ارنستين هى الوحيدة من بينهم الأكثر حماسا وفاعلية .

وبدأت تكشف عن منافذ الشك بحديثها وأسئلتها !
ـ اذن فقد قرر عدم صحة ما حدث ؟ .
ـ فى الواقع انه لم يقرر شيئا ، فقد كانت والدته هى التى تمسك بزمام الحديث . أما هو فقد القى بنا خارج المنزل .

ـ وهل نفى وجود جثة ما بغرفة المكتب ؟.
وكان من الواضح ، انها قد حصلت على بعض المعلومات ؟ من مدير المقهى عن سكان البيت ذى الباب الحديدى الكبير .
ـ ولماذا لم يبلغ الشرطة عن محاولة بعضهم السطو على منزله ؟ .
ـ ان احدا ما لم يهاجم منزله كما يقول .
ولما كانت أكثر دراية من غيرها بوسائل فريدى الحزين قالت :

ـ الم تكشفا أن احدى النوافذ ينقصها زجاجها ؟.
ونظر بواسييه الى ميجريه نظرة كانت تعنى أنه يشير عليه بعدم الافضاء بشىء ما ، الا أن كبير المفتشين ضرب صفحا عن ذلك قائلا :

ـ وجدنا فعلا ان زجاج احدى النوافذ قد تم اصلاحه حديثا ويقال بانه تحطم منذ اربعة أو خمسة أيام ليلة العاصفة .
ـ انه يكذب .. !
ـ فعلا .. لابد أن هناك من يكذب .
ـ او تعنينى بذلك ؟ .
ـ انا لم اقل هذا . قد يكون الفريد .
ـ وماذا يضطره لهذا ؟ ولماذا كان يكلف نفسه عناء سرد هذه القصة الطويلة فى التليفون ؟.

وهنا تدخل بواسييه قائلا وهو يحدجها بنظراته :
ـ ربما لم يخبرك الفريد بذلك .
ـ وما هو الباعث لى على اختلاق هذه الرواية ؟ او تظن ذلك أيضا يا مسيو ميجريه ؟ .
ـ انا لا اظن شيئا .

قال ميجريه ذلك وهو يبتسم فى غموض ، وكان يحس فى جلسته هذه بكل معانى الراحة والسعادة . لقد كان قدح البيرة الموضوع أمامه ، مثلجا منعشا تفوح منه رائحة هى أقرب ماتكون لتلك الرائحة التى تنتشر فى جو الريف وتسرى مع نسيمه .. ولعل ذلك يرجع الى قرب المكان الذى يجلسون فيه من غابة بولونى .

وقضوا ما بعد الظهيرة فى تراخى الكسل ، يأتون على أقداح البيرة ، الواحد تلو الآخر ، وبعد أن آن الأوان لتركهم المكان غادروا المقهى فى طريق عودتهم الى باريس . ورأى ميجريه انه يحسن بهما اصطحاب الفتاة معهما ، حتى لا يتركاها بعيدا عن قلب باريس . وتركتهما عند شاتيليه بعد أن قال لها ميجريه :

ـ اتصلى بى تليفونيا بمجرد استلامك لرسالة منه .

وأحس منها بأن رجاءها فيه قد خاب ، وبأنها كانت ترى فيه شخصا آخر غير ما رأته . وتنبأ بأنها لابد محدثة نفسها ، بأنه قد تقدمت به السن ، وبأنه لم يعد بأفضل من غيره من رجال الشرطة ولذلك فلن يحرك ساكنا لكشف غوامض هذه القضية .

وبعد أن أصبحا وحيدين ، اقترح بواسييه قائلا :

ـ هل يستدعى الأمر أن أؤجل القيام بأجازتى ؟.

ـ ما أظن الا أن زوجتك قد أعدت للأمر عدته ؟ .

ـ ان الحقائب فعلا بالمحطة. فقد كان من المفروض أن نسافر بقطار الساعة السادسة صباحا .

ـ ومعكما ابنتك ؟ .

ـ طبعا .

ـ اذن .. فعلى بركة الله .

ـ ألن تكون بحاجة الى ؟ .

ـ يكفينى القائمة التى قدمتها لى .

وعاد وحيدا الى مكتبه ، وكاد يغفى فى مقعده .. فقد ولت الفراشة التى كان يتسلى بها وذهبت . ومالت الشمس فى الناحية الأخرى من واجهة المبنى . ولما كان لوكاس غير موجود

لقد رأى أن يدعو لمقابلته جانفييه الذى عاد من اجازته حيث كان أول من قام بها فى شهر يونيو لحضور حفل زواج فى اسرته .

ـ اجلس . عندى مهمة لك . هل قدمت تقريرك ؟ .

ـ لقد انتهيت منه الآن .

ـ حسنا ! اكتب مذكرة بما سأكلفك عمله . أولا ، عليك أن تبحث بمجلس مدينة نويللى عن اسم ولقب سيدة هولندية تزوجت من رجل يدعى جيللوم سيريه منذ عامين ونصف . العنوان ٤٣ب شارع دى لافيرم .

ـ هذا موضوع سهل .

ـ ربما . وكانت هذه السيدة تعيش فى باريس فترة ما .. وعليك ان تحاول الكشف عن محل اقامتها ، وعن عملها ، وعمن لها من اقارب ان وجدوا ، وعما كانت تملك ، الى آخر تلك المعلومات ...

ـ حسنا .. !

ـ ومن المفروض انها تركت منزلها فى شارع دى لافيرم يوم الثلاثاء ما بين الثامنة والتاسعة مساء واستقلت القطار الى هولاندا . كما انها ذهبت بنفسها لاستحضار سيارة اجرة من ناصية شارع ريتشارد والاس لنقل حاجياتها .

ودون جانفييه كل ذلك فى مفكرته ، ثم استفسر من رئيسه ؟

ـ اهذا كل ما فى الأمر ؟ .

ـ لا . اليك بعض التوجيهات التى قد تفيدك اختصارا للوقت . اريد ان تستجوب الجيران عن معلوماتهم بشأن آل سيريه .

وكم يبلغ عددهم ؟ .

ـ ام وابنها . الأم فى حوالى الثمانين من عمرها . والابن طبيب اسنان . وحاول أن تهتدى الى سيارة الأجرة ، كما يجب

ان تجمع بعض المعلومات من عمال المحطة والقطار ، وتقوم ببعض التحريات التى قد تنفعنا .

ـ هل ستسمح لى بسيارة للانتقال بها ؟ .

ـ نعـــم .

وكان هذا هو كل ما قام به بعـد ظهر ذلك اليوم . اللهم الا ما قام به من الاتصال بشرطة بلجيكا واعطائهم بيـــانا بأوصاف فريدى الحزين . وما كان من حديثه التليفونى الطويل مع مفتش الجوازات المقيم بمدينة جومونت عند الحدود . والذى علم منه ؟ انه هو الذى قام بنفسه بمقابلة هذا القطار عند الحدود ، والذى يتفق ميعاد وصوله مع ميعاد القطار الذى قيل عنه أن الفريد استقله من محطة الشمال ، واكد له انه لا يذكر انه راى بين ركاب هذا القطار شخصا تنطبق اوصافه على محطم الخزائن المحترف.

ولم يكن كل ذلك ليعنى عنده شيئا . فما عليه الا ان يترقب وينتظر . وبعد ان وقع ميجريه بعض الأوراق نيابة عن المدير العام توجه الى بار دوفين مع رئيس قسم السجلات حيث تناول شرابا منعشا ثم عاد الى منزله .

وسألته السيدة ميجريه بعد أن فرغا من طعامهما :

ـ كيف سنقضى المساء ؟ .

ـ هيا بنا نقوم بجولة .

وقاما بجولتهما فى بعض الشوارع الرئيسية . وانتهى بهما المطاف الى شرفة أحـد المقاهى . وكانت الشمس قد غربت .. وبدات حرارة الجو تخف حدتها ، وهب النسيم منعشا لطيفا .. وجلس رواد المقهى فى صمت يستريحون مما كانوا يعـانونه من حياتهم اليومية ، ويستمعون لأنغـام الموسيقى التى كانت تصل الى مسامعهم من داخل المقهى .. وأضاءت المكان انوار الاعلانات ومصابيح الليل المتلألئة ، فبعثت فى الجو روحا من حياة الليل بعد ركود الغروب .

وعادا الى المنزل كما عاد غيرهما الى بيته ، وانقضى يوم ليعقبه يوم آخر من ايام الحياة .

وكان اليوم التالى كسابقه ، وبدا صباحه صافيا مشمسا . وبدلا من أن يتوجه ميجريه الى الادارة ، عرج على رصيف دي جيماب حيث وجد المقهى المجاور لسانت مارتن بلافتته التقليدية « وجبات خفيفة ليلا ونهارا » ، وقرر ان يدخل تنفيذا لما عقد العزم عليه ، وقصد توا الى المنضدة الموضوع بجوارها التليفون وقال للساقى :

ــ الى بكأس من النبيذ الأبيض .

وبدون مقدمات وجه سؤاله الذى دخل من اجله ، فأجابه الرجل فورا :

ــ لست اذكر متى كان ذلك على وجه التحديد . غير اننا سمعنا رنين التليفون فعلا . وكان ضوء النهار قد بدأ ينتشر .. ولم اكلف نفسى عناء التوجه للرد على النداء .. وكذلك زوجتى المبكر . ثم سمعنا ارنستين تهبط على الدرج لتجيب النداء الذى لأننا كنا نعلم انه لا يمكن أن يكون ذلك لنا فى مثل هذا الوقت كان لها فعلا . ولاحظت انها قضت وقتا طويلا فى حديثها .

اذن فقد كان ما قالته لوفتى عن هذه النقطة حقا .

ــ ومتى خرج الفريد فى الليلة التى سبقت هذا الحديث التليفونى ؟ .

ــ فى الحادية عشرة او اقل قليلا . واذكر انه خرج بدراجته .

ومن باب المقهى المؤدى الى الدهليز ، خرج ليجريه ليرتقى الدرج الى الطابق الاول ، حيث طرق احد الابواب .

وانفرج الباب قليلا ، وظهرت فى فرجته ارنستين بملابسها الداخلية .

ــ اهو انت ؟ !

واسرعت لتكمل ملابسها ، وابتسم ميجريه فيما بينه وبين نفسه وكأنه يقول :

ـ اهذه دائما ارنستين كما تعودت أن تكون ؟.

وسمعها تصارحه بقولها :

ـ انه لعطف كبير منك . ان زيارتك لى هى آخر ما كنت أنتظره .

وكانت نافذة الحجرة مفتوحة على مصراعيها . ولاحظ أن اغطية الفراش من اللون الاحمر . ومن الباب الصغير المؤدى للمطبخ وصلت الى أنفه رائحة القهوة التى كانت تعدها لنفسها .

ولم يكن قد تحقق بعد مما اتى به الى هذا المكان ودفعه لزيارتها .

ـ الم يصلك شىء عن طريق البريد بعد ؟ .

فاجابت فى قلق :

ـ لا شىء .

ـ الا ترين فى هذا ما يدعو للعجب ؟.

ـ لعله لم يجد الفرصة المواتية بعد . ولعله يظن انني موضوعة تحت المراقبة . ثم ان عدم كتابة شىء عن الحادث فى الصحف يزيد الأمور تعقيدا فى نظره . لقد كنت فى طريقى الى مكتب البريد .

وراى صندوقا قديما فى ركن من الغرفة . فاشار اليه قائلا :

ـ هل هذا من متعلقاته ؟ .

ـ انه لنا معا . فليس هناك ماله ومالى . اننا لا نملك الكثير

وبنظرة ثاقبة قالت له :

ـ هل تريد تفتيش الصندوق ؟ هذا امر طبيعى فذلك من مستلزمات عملك كما اعرف . لن تجد غير بعض المعدات والادوات مما يحب الفريد ان يحتفظ به . كما ستجد بعض الثياب القديمة وقليلا من الملابس الداخلية .

وبينما كانت تقولً ذلك ، كانت تلقى بمحتويات الصنـدوق على ارض الحجرة ، وتفتح ما وجد من ادراج فى الغرفة .

- لقد فكرت فى الأمر مليا . وادركت ما كنت تعنيه بحديث الامس . وليس من شك فى ان هناك من لا يقول صدقا . فقـد يكون المعنى بذلك الفريد ، او الأم وابنها ، وقـد اكون انا . ومن حقك الا تصدق احدا منا فيما يقولُ .

- الا يوجد لالفريد اقارب بالريف ؟ .

- انه لا يعرف اقارب له فى اى مكان . فهو لم يعرف غـير والدته التى توفيت منذ عشرين عاما .

- الم تذهبا معا الى اى مكان خارج باريس ؟.

- لم نذهب ابعد من كوربيل .

واستبعد ميجريه ان يختار الفريد «كوربيل» مكانا يلجأ اليه كما استبعد ذهابه الى بلجيكا فى الوقت نفسه .

- الم يتحدث امامك عن مكان معين كان يتوق لزيارته ؟ .

- كان يتحدث دائما عن الريف . عن الريف بصفـة عامة ولم يخص منه مكانا معينا بالذات .

- وهل كنت من مواليد الريف ؟ .

- نعم . ولدت فى قرية تدعى سانت مارن دى بريه بالقرب من سيفيرس .

وفتحت احد الأدراج واخرجت منه صورة فوتوغرافية لكنيسة القرية .

وهل سبق له ان راى هذه الصورة ؟.

وفهمت ما يعنيه بسؤاله هذا لأنها كانت تمتـاز بذهن لمـاح وادراك واع .. فقالت له

- انه لما يبعث على الدهشة ان اجده هناك . فقد اتصل بى تليفونيا فى ذاك الصباح من مكان قريب من محطة الشمال فعلا .

ـ وكيف تأتى لك ان تتأكدى من ذلك ؟.

ـ لأننى اهتديت الى المقهى الذى حدثنى منه .. وهو فى شارع دى موبيج بالقرب من حانوت لبيع المصنوعات الجلدية . ويطلق على هذا المقهى اسم «بار دى ليفانت» . وقد قابلت مالكه أمس مساء ، وعلمت منه انه يذكر ذلك جيدا ، لأن الفريد كان أول من دخل المقهى فى ذاك اليوم . هل لك فى قدح من القهوة ؟»

ولو لم يكن قد تناول كأسا من النبيذ الأبيض ، ما رفض هذا العرض . فاعتذر عن قبوله راجيا اعفاءه منه .

وخرج فى طريقه الى «بار دى ليفانت» ، مستقلا احدى سيارات الأجرة التى وجد صعوبة فى العثور عليها بمثل هذا الحى .

ـ انه رجل ضئيل الجسم ، تكسو وجهه مسحة من الحزن ، احمر العينين وكأنه قضى ليله كله باكيا .

بهذا وصفوه له .

ولم يعد هناك شك فى ان المقصود بذلك هو الفريد جوسيوم الذى يمتاز ، علاوة على ما يمتاز به ، باحمرار عينيه .

ـ ولقد قضى وقتا طويلا وهو يتحدث فى التليفون ، واحتسى قدحين من القهوة «السادة» ، ثم اتجه صوب المحطة وهو ينظر يمنة ويسرة وكأنما كان يخشى ان يتبعه احد . هل ينسب اليه خطأ ما ؟ .

وما ان وافت الساعة العاشرة صباحا ، حتى كان ميجريه يصعد فى الدرج بالادارة العامة فى طريقه الى مكتبه . وعلى خلاف عادته فى كل يوم ، لم يلق بنظرة على حجرة الانتظار ، بل تجاوزها الى مكتب ضباط النوبة «النوبتجية» حيث سأل عن جانفييه فقيل له :

ـ لقد حضر فى الثامنة ، ثم انصرف بعدها بقليل ، وترك لك مذكرة على مكتبك .

وهناك وجد المذكرة التالية :

« تدعى السيدة باسم ماريا فان أيرتس . وتبلغ من العمر ٥١ عاما . وهي من بلدة سنيك في فرايزلاند بهولندا .. انا في طريقي الآن الى نويللي حيث كانت تعيش في أحد الفنادق بشارع لونجشامب ، ويقوم الزميل فاشير ، بجمع التحريات الخاصة بالمحطة .

وفتح جوزيف الحاجب ، الباب قائلا :

ـ لم اتنبه لحضورك يا مسيو ميجريه . ان سيدة بانتظارك منذ نصف ساعة .

وقدم اليه طلب المقابلة ، الذى سطرت السيدة بيديها اسمها فيه ، بخط دقيق أنيق . وبينما كان ميجريه يتأمله مفكرا ، قطع عليه جوزيف حبل افكاره قائلا :

ـ هل ادعوها للدخول ؟ .

وقبل أن يجيب بشيء ، اتجه لفتح النافذة ، وملأ غليونه تبغا ثم جلس الى مكتبه قائلا :

ـ دعها تدخل .

وتساءل قبل أن تدخل ، عما قد تبدو به هذه السيدة خارج محيط منزلها . ودهش عندما وافاه الرد على تساؤله بدخولها مرتدية غير ما تخيلها به . حيث خلعت عنها الثياب السوداء مستبدلة بها ثوبا أبيض بنقوش سوداء . وكانت تضع على راسها قبعة متجانسة مع ثوبها . وتقدمت اليه بخطوات ثابتة تحكي ثقتها بنفسها .

ـ ما اظن الا انك كنت تتوقع قدومي اليك . اليس كذلك يا سيدي ؟ .

وفي الحق انه لم يكن يتوقع ذلك . الا انه فضل الا يصارحها بشيء .

ـ تفضلي بالجلوس يا سيدتي .

ـ شكرا .

ـ لعل التدخين لا يضايقك ؟ .

ـ ان ابنى لا يقلع عن تدخين السيجار طوال اليوم . لقد ضايقتنى الطريقة التى استقبلكما بها بالأمس ! وحاولت جاهدة ان أشير اليك حتى لا تلح فى اسئلتك لأننى أعرفه على حقيقته .

وكانت هادئة متمالكة لأعصابها . تنتقى كلماتها فى تؤدة وعناية . وهى تحرص على الابتسام من وقت لآخر . ابتسامة كانت تحمل ما ارادت أن تعنيه بأنها فى صف ميجريه أكثر مما تكون فى صف ابنها .

ـ اننى المسئولة عن سوء خلقه . فقد نشأته نشأة الطفل المدلل . حيث لم يكن لى من ولد غيره . لقد توفى زوجى وخلفه لى ولما بلغ سبعة عشر ربيعا . فأصبح جيللوم ، قبل الأوان ، رجل المنزل ...

وكان ميجريه فى أثناء حديثها ، يحاول أن يستشف مكنونات نفسها وحقيقة غرضها ، ولكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا ، فسألها قبل أن تستمر فى حديثها :

ـ هل ولدت فى باريس ؟ .

ـ فى نفس البيت الذى كنت فيه بالأمس .

ـ وزوجك ؟ .

ـ كان والده محاميا فى شارع دى توكفيل ، بالدائرة السابعة عشرة .

ـ وقد عشنا أنا وولدى بمعزل عن غيرنا ، الأمر الذى جعل منه رجلا غير اجتماعى .

ـ لقد فهمت منك انه كان متزوجا من قبل .

ـ نعم . وقد توفيت زوجته فى سن مبكرة .

ـ بعد كم سنة من زواجهما كان ذلك ؟ .

وتحركت شفتاها لتتكلم ، ثم توقفت فجأة ، وكأن خاطرا قد تبادر الى ذهنها فعدلت مؤقتا عما كانت تريد قوله ، بل لقد لاحظ ان وجنتيها قد اصطبغتا بحمرة الخجل ، على قدر ما سمح به سنها . واخيرا قالت :

ـ بعد سنتين . ان الأمر ليبدو غريبا . أليس كذلك ؟ لقد تبادر هذا الى ذهنى الآن .. لأن حياته مع ماربا دامت لعامين ايضا .

ـ ومن كانت زوجته الأولى ؟ .

ـ كانت من احسن الأسر ، وقد التقينا بها فى موسم الصيف فى دييب ، حيث كنا نقضى الصيف فى كل عام . وكانت تدعى جين ديفوازين .

ـ وهل كانت أصغر منه سنا؟ .

ـ كان ولدى فى الثانية والثلاثين . وكانت هى فى نفس هذه السن تقريبا . لقد كانت متزوجة من قبل .

ـ وهل رزقت باطفال من قبل ؟ .

ـ لا . واعتقد انه لم يكن لها اقارب ما . الا الأخت الوحيدة التى تقيم بالهند ـ الصينية .

ـ وما هو السبب فى وفاتها ؟ .

ـ ازمة قلبية . فقد كانت مريضة بالقلب ، وقضت معظم حياتها تحت رعاية الأطباء .

وعادت تبتسم مرة اخرى :

ـ اننى لم اطلعك بعد على سبب حضورى ، وقد فكرت فى الاتصال بك تليفونيا أمس ، عندما خرج ولدى لجولته المسائية . الا اننى عدلت عن ذلك ورأيت انه قد يكون من الأوفق ان احضر لمقابلتك .. وذلك لأعتذر عما بدر من جيللوم . ولأقرر لك أن ما فعله لم يكن مقصودا به شخصك . انه سيىء الخلق .. حاد الطباع .

ـ هذا ما لمسته بنفسي فعلا .

ـ لقد كان هذا حاله عندما كان صبيا صغيراً .

ـ لقد كذب فيما قاله لي . أليس كذلك ؟ .

ـ عفوا يا سيدي . ماذا ؟ .

واكتسى وجه السيدة بمسحة من الدهشة التي بدت حقيقية غير مصطنعة .

ـ وما هو الدافع لأن يكذب ؟ . انني لا افهم . انك لم توجه اليه اي اسئلة . وما دفعني للحضور الا ذلك ، ولأضع نفسي تحت تصرفك في أي سؤال ترغب في توجيهه ، فليس لدينا ما نخفيه عنك . كما انني لا يوجد عندي اية فكرة عن الظروف التي دعتك لتشغل نفسك بنا . فقد يكون هناك لبس في الأمور ، وقد يكون ذلك بناء على وشاية من الجيران .

ـ متى تحطم زجاج النافذة ؟ .

ـ لقد اخبرتك بذلك . أم لعل ولدي الذي اخبرك بذلك ؟ فلست متأكدة من هذا .. لقد تحطم الزجاج عند هبوب العاصفة في الاسبوع الماضي ، وكنت حينئذ في الطابق الثاني ، ولم اكن قد اغلقت جميع النوافذ حين هبت العاصفة فجأة ، فسمعت وانا في مكاني صوت زجاج يتحطم .

ـ وهل كان ذلك في وضح النهار ؟ .

ـ حوالي السادسة مساء .

ـ بمعنى ان المرأة الخادم اوجيني ، كانت قد انصرفت بعد الانتهاء من عملها ؟ .

ـ انها تنصرف في الخامسة مساء . وأظن انني سبق أن اوضحت لك هذا ايضا . انني لم اخبر ولدي بأنني قادمة لمقابلتك لأنني اعتقد انك قد تفضل زيارة المنزل مرة اخرى عندما لا يكون موجودا .

ـ اتعنين بذلك أن تكون الزيارة فى اثنـاء قيـامه بجولتـه المسائية ؟ .

ـ نعم .. انك تفهم الآن انه لا يوجد لدينا ما نخفيه . ولو لم يتصرف جيللوم كما تصرف أمس ، لتكشف لك كل شيء فى حينه .

ـ هل قدمت الى هنا يا سيدتى بمحض ارادتك ؟ .

ـ نعم .. وبدون أدنى شك .

ـ وانك أنت وحدك من ترغبين فى أن أوجه لك ما اشاء من اسئلة ؟ .

فأومأت براسها بالايجاب تأكيدا لهذا .

ـ اذن فلنبدأ من تلك السـاعة التى كنتم الثلاثة تتنـاولون طعامكم فيها معا . سبق أن تحدثت بأن حقائب زوجة ابنك كانت معدة .. ففى أى مكان من المنزل كانت موضوعة .

ـ فى الردهة ..

ـ ومن قام بحملها الى الطابق الأرضى ؟ .

ـ أوجينى قامت بنقلها كلها ، ماعدا الصندوق الذى قام ابنى بحمله ، لأنه كان أثقل من طاقة اوجينى .

ـ اهو كبير الى هذا الحد ؟ .

ـ نعم .. انك تعرف هذا النوع . لقد كانت ماريا قبل زواجها من هواة السفر والانتقال . لقد عاشت من قبل فى ايطاليا وفى مصر .

ـ وماذا اكلتم ؟ .

ويلوح انها شعرت بالسرور وبالدهشة معا على اثر توجيهه هذا السؤال .

ـ لحظة حتى استعيد ذلك ! . وسييسر لى الامر ، اننى انا

التى اقوم باعداد الطعام .. شوربة خضـار اولا ، لأنها مفيدة للصحة . ثم لحم بالبطاطس .

ـ والحلوى ؟ .

ـ كاستارد بالشيكولاته . لأن ولدي مغرم بها .

ـ وهل اثيرت اية مناقشة حول المائدة ؟ . ومتى انتهيتم من تناول الطعام ؟ .

حوالى السابعة والنصف . وبعدها اعدت الصحاف الى مكانها وصعدت الى الطابق الأعلى .

ـ وهكذا لم تحضرى رحيل زوجة ابنك .

ـ لقد رغبت عن ذلك . لأن مثل هذه المواقف ، غالبا ما تكون مدعاة للألم . وترانى افضل دائما تجنب مثل هذه المواقف . لقد ودعتها فى حجرة الضيوف قبل أن أصعد للطابق العلوى . اننى لا احمل لها فى نفسى غير كل خير .

ـ واين كان ولدك فى اثناء ذلك ؟ .

ـ فى حجرة المكتب على ما اذكر .

ـ ألم يدر بينه وبين زوجته قبل رحيلها حديث ما ؟ .

ـ لا أعتقد ذلك . فقـد عادت الى حجرتها حيث سمعتها تستكمل تأهبها .

ـ ان بيتكم من تلك البيوت المتينة البنيـان كمعظم المبانى القديمة . واظن انه ليس من اليسير أن يسمع المـرء فى الطابق الثانى شيئا مما يقع فى الطابق الاسفل ؟ .

ـ ان هذا لا ينطبق على .

ـ ماذا تعنين بذلك ؟ .

ـ اعنى اننى اتمتع بسمع مرهف حاد . ولا يفوتنى ان اسمع الصوت المنبعث من الأخشاب تحت اقدام السائرين .

ـ ومن الذى توجه لاستحضار سيارة الأجرة ؟ »

ـ ماريا .. لقد قلت ذلك بالأمس .

ـ وهل مكثت فى الخارج فترة طويلة ؟ ،

ـ نعم .. اذ من العسير ان تجد سيارة اجرة فى ناحيتنا » وما عليك الا ان تنتظر مرور احداها .

ـ هل شاهدت رحيلها من النافذة ؟ »

فترددت قليلا ثم اجابت :

ـ نعم ..

ـ ومن الذى حمل الصندوق من المنزل للسيارة ؟ »

ـ السائق .

ـ الا تذكرين شيئا عن الشركة التى تتبعها السيارة ؟ »

ـ وانى لى ان اعرف هذا ؟ .

ـ ماذا كان لونها ؟ .

ـ بنى مع احمر .

ـ هل يمكن ان تتعرفى على السائق ؟ .

ـ الى حد ما .. لقد كان قصيرا بدينا فيما اذكر .

ـ وماذا كانت ترتدى من ثياب عند رحيلها ؟ »

ـ كانت ترتدى ثوبا بنفسجيا .

ـ الم تكن تضع معطفا ؟ .

ـ كانت تحمله على ذراعها .

ـ وهل كان ولدك بحجره المكتب فى ذلك الوقت ؟ »

ـ نعم ..

ـ وما الذى حدث على وجه التحديد ؟ . هل عدت الى الطابق الأول ؟ .

ـ لا ..

ـ الم تتوجهى الى حيث كان ولدك ؟ .

ـ كان هو الذى حضر الى .

ـ مباشرة ؟ .

ـ لم يكن ذلك بعد انصراف السيارة بكثير .

ـ هل كان متجهما ؟ .

ـ كان كما رأيته بالأمس . انه هكذا دائما . وكما سبق أن قلت لك ، فهو رجل شديد الحساسية متوتر الأعصاب تثيره اقل الاحداث شأنا .

ـ وهل كان يعلم ان زوجته لن تعود اليه ؟ .

ـ كان يشك فى ذلك .

ـ وهل اشارت الى شىء من هذا القبيل ؟ .

ـ ليس هكذا تماما . لقد لاحظنا بعض التلميحات فى حديثها من حين لآخر .. فقد تحدثت من حين لآخر عن ضرورة تغيير آرائها بشأن زيارة بلادها مرة اخرى .. فما أن تضع قدمها هناك حتى ...

ـ وماذا فعلت بعد ذلك ؟ .

ـ قمت بتصفيف شعرى استعدادا لفترة الليل .

ـ وهل كان ابنك معك فى غرفتك ؟ .

ـ نعم ..

ـ الم يترك المنزل بعد ذلك ؟ .

ـ نعم .. لم يتركه .. وما هو الداعى ؟ .

ـ وأين يقع « جاراج » سيارته ؟ .

ـ على بعد مائة ياردة ، حيث حولت بعض الاصطبلات القديمة الى جاراجات ، قام جيللوم باستئجار احداها .

ـ اذن فمن الممكن أن يخرج بسيارته وأن يعود بها دون ان يراه احد ؟ .

ـ وما الذى يدعوه لمثل ذلك ؟ .

ـ وهل عاد الى الطابق الأرضى مرة اخرى ؟ .

لست أدرى .. واظنه فعل ذلك . اننى آوى الى فراشى مبكره .. اما هو فيقرأ حتى الحادية عشرة او منتصف الليل .

ـ فى حجرة المكتب ؟ .

ـ أو فى غرفة نومه .

ـ وهل تقع بالقرب من غرفة نومك ؟ .

ـ ان غرفته بجوار غرفتى مباشرة ، ويوجد بينهما حمام مشترك .

ـ وهل شعرت به وهو يأوى الى فراشه ؟ .

ـ بكل تاكيد .

ـ ومتى كان ذلك ؟ .

ـ لم أتحقق من هذا .

ـ الم يصل الى سمعك شيء بعد ذلك ؟ .

ـ نعم .. لم يصل مطلقا .

ـ أظن انك أول من يهبط الى الطابق الأرضى فى الصباح ؟ .

ـ من عادتى أن اهبط فى السادسة والنصف عندما يحل فصل الصيف .

ـ وهل تطوفين بجميع غرف المنزل ؟ .

ـ توجهت أولا الى المطبخ حيث وضعت قليلا من الماء ليغلى ثم قمت بفتح النوافذ لينفذ منها الهواء المنعش البارد الى المنزل .

ـ وهل دخلت حجرة المكتب ؟ .

ـ يحتمل .

ـ الا تذكرين على وجه التحديد ؟ .

ـ يغلب على ظنى اننى قمت بذلك .

ـ وهل كان الزجاج المحطم قد تم اصلاحه حينئذ ؟ .

ـ اظن ذلك .. نعم ..

ـ الم تلاحظى أى شيء غير طبيعى فى نظام الغرفة ؟ . او لم يسترع نظرك شيء من هذا القبيل ؟ .

ـ لا شيء من ذلك مطلقا . لم يكن هناك الا بعض بقايا لفافات التبغ ، وبعض الكتب الموضوعة هنا وهناك كما هى العادة . مسيو ميجريه ، اننى لم أفهم حتى هذه اللحظة ما يعنيه كل ذلك . ولقد رأيت اننى أجيب عن أسئلتك بكل صراحة ، لأننى قدمت الى هنا من اجل ذلك فقط ..

ـ لقد حضرت لان القلق كان يستبد بك ؟ .

ـ لا .. لقد حضرت لاننى خجلت من سلوك جيللوم معك اولا ، ولاننى شعرت بأن زيارتك كانت تخفى سرا غير ما عللتها به . ان النساء لسن كالرجال بحال ما . فعندما كان زوجى معى ، مثلا ، وكنا نسمع اى صوت بالمنزل ليلا ، لم يكن ليتحرك من فراشه ، وكنت انا انهض لأرى ماذا هناك . هل تدرك ما اعنى ؟ . ولعل هذا هو الحال معك ومع زوجتك ! . ومدفوعة بمثل هذا الشعور حضرت .. لقد كنت تتكلم عن حادث السطو . ولكنك كنت معنيا بموضوع ماريا أصلا .

ـ الم تصلكم أنباء عنها ؟ .

ـ ما كنت لاترقب شيئا من هذا القبيل . انك تخفى بعض الحقائق ، وهذا ما يجعلنى اتحرق شوقا لمعرفتها . تماما كما هو الحال بالنسبة لتلك الاصوات التى تسمعها فى الليل . فهى لم تعد تتحمل هذا الغموض الذى يحيطونها به . انها اصوات حسية تبدو فى غاية البساطة فى نهاية الأمر اذا ما كلفنا انفسنا عناء الكشف عنها واستجلاء غوامضها .

وراحت تتأمله تأمل الواثقة بنفسها ، التى تعرف تماما أين تضع قدميها . وانتاب ميجريه شعور بأنها لا ترى فيه اكثر من

طفل ، وانه لم يعد امامها باكثر من جيللوم آخر . وخيل اليه انها تقول له بهذه النظرات :

ـ خبرني بكل ما يعتمل في نفسك من قلق ولا تخش جانبي . فان فعلت ذلك ، فسترى أن الأمور ستتكشف وينجلي امرها .

وقام بدوره ، بتثبيت عينيـه على وجهها ، ، قبـل أن يلقي بقنبلته قائلا :

ـ لقد اقتحم رجل منزلكم في تلك الليلة .

وما أن سمعت ذلك منه ، حتى حملقت في وجهه غير مصدقة ! ومشفقة عليه في الوقت نفسه ، وكأنه بقوله هذا أصبح في نظرها أحد المؤمنين بالخرافات .

ـ لأى سبب ؟ .

ـ ليسرق ما في الخزانة .

ـ وهل تم له ذلك ؟ .

ـ لقد دخل المنزل بعد تحطيمه لزجاج احدى النوافذ .

ـ زجاج النافذة الذى تحطم في اثناء العاصفة ؟ . لابد انه اعاد تركيبه بعد ذلك ؟ .

ـ ولاحظ أنها ما زالت مصرة على الا تحمل ما يقول على محمل الجد ..

ـ وماذا اخذ معه ؟ .

ـ انه لم يتمكن من سرقة ما كان يبغى لأن ضوء مصباحه قلنا إكشف له عن شيء لم يكن ليتوقع ان يجده في تلك الغرفة .

ولم تترك ابتسامتها .

ـ وما هو هذا الشيء ؟ .

ـ جثة امرأة متوسطة العمر .. ويرجح ان تكون جثة زوجة إبنك .

ـ وهل هو الذى أخبركَ بذلك ؟ »

وتأمل اليدين الثابتتين فى قفازهما الأبيض ولم يعقب .

ـ ولماذا لا تطلب من هذا الرجل أن يحضر بنفسه ويواجهنى بما يدعيه ؟ .

ـ لأنه ليس فى باريس فى الوقت الحاضر .

ـ الا يمكنك أن تعمل على حضوره هنا ؟ .

وفضل ميجريه الا يعقب بشىء ، لأنه لم يكن راضيا عن نفسه وبدأ يتساءل عما اذا كان لم يتأثر بعد بسحر هذه المرأة ، التى كانت أقرب ما تكون جلالا وقدسية من الأم الكبرى .

وظلت فى مقعدها ثابتة كالطود لم تتحرك ولم تبدر منها الخالجة .

ـ لا زلت هائمة فى بيداء جهلى بكل ما يعنيه ذلك . ولن ألح عليك بأسئلتى . ولعل عندك من الأسباب ما يحملك على تصديق هذا الرجل فيما يقول . انه من اللصوص . أليس كذلك ؟ . أما أنا فامرأة قد بلغت من العمر ثمانية وسبعين عاما دون أن تلمس أحدا بضرر ما .

ـ أما وقد وصلنا الى ما وصلنا اليه ، فلتسمح لى ، بأن أدعوك من كل قلبى لتشريف منزلنا ، حيث سأفتح لك كل باب على مصراعيه ، وسأطلعك على كل ما تريد الاطلاع عليه . وأما عن ولدى ، فبمجرد ان يعلم بكل هذه الوقائع ، فلن يتأخر مطلقا عن اجابتك عن أى سؤال توجهه اليه .

ـ مسيو ميجريه ، متى ستحضر ؟ .

وعندئذ نهضت من مقعدها ، ووقفت أمامه ، وكما كانت طوال فترة جلوسها ، لم يتغير من حالها شىء ، اللهم الا لمسة خفيفة من الشعور بالمرارة .

ـ قد يكون ذلك بعد الظهر . فلست متأكدا بعد . هل استعمل ولدك سيارته خلال الأيام القليلة الماضية ؟ »

ـ يمكنك أن تسأله عن ذلك اذا أردت .

وهل هو بالمنزل الآن ؟ .

ـ ربما .. لقد تركته بالمنزل عندما خرجت .

ـ وأوجيني أيضا ؟ .

ـ لابد أنها لم تزل هناك .

ـ شكرا ..

وصحبها حتى الباب . وما أن وصلا اليه حتى استدارت قائلة في دعة :

ـ لي عندك رجاء .. لست أطلب منك الا أن تضع نفسك في مكاني ، بعد ذهابي ، وتنسى فترة ما ، انك قضيت حياتك تعالج الجريمة ، وتصور لنفسك أنك تواجه هذا الاتهام الذى واجهتني به ، الاتهام بارتكاب جريمة قتل في هدوء عمدا .

وبذلكانتهت محادثات هذه الجلسة ، ولم تتجاوز قولها اخيرا :

ـ الى ما بعد ظهر اليوم ، يا مسيو ميجريه .

وما أن أغلق الباب خلفها ، حتى وقف في مكانه لا يتحرك دقيقة . ثم اتجه الى النافذة يطل منها ، فوقع بصره على السيدة ، وهى تسرع بخطواتها تحت أشعة الشمس ، متجهة الى جسر سانت ميشيل .

ورفع سماعة التليفون قائلا :

ـ اريد الاتصال بمركز الشرطة في نويللى .

ولم يطلب الاتصال بالضابط المختص ، بل طلب رقيبا كان يعرفه .

ـ ڤانو ؟ . انا ميجريه .. شكرا .. بخير . انتبه لما انا قائل لأنه أمر دقيق جدا .. استقل احدى السيارات فورا وقم الى المنزل ٤٣ ب بشارع دى لافيرم .

ـ منزل طبيب الأسنان ؟ . لقد حدثنى عنه چانڤييه أمس مساء . بشأن السيدة الهولندية ا. أليس كذلك ؟.

ـ لا عليك من ذلك الآن . فالوقت ضيق . ان الرجل ليس ممن يسهل التعامل معه ، لأنه صعب المراس . ولا استطيع أن استصدر أمرا بالقبض عليه فى الوقت الحاضر . وعليك أن تتصرف بسرعة ، قبل أن تعود والدته الى المنزل .

وهل هى فى مكان بعيد ؟ .

ـ انها الآن عند جسر سانت ميشيل . واعتقد انها ستستقل احدى السيارات .

ـ وماذا انا فاعل بالرجل ؟.

ـ اصطحبه معك الى المركز . واختلق اى سبب لذلك . قل له انه مطلوب لسماع شهادته . . اى شىء .

ـ وبعد ذلك ؟ .

ـ وبعد ذلك ساكون موجودا . ولن يستغرق منى هذا اكثر من مسافة الطريق .

ـ فاذا ما فرضنا أن الطبيب غير موجود بالمنزل ؟ .

ـ تراقب المنزل ولا تدعه يدخل اليه بحال ما .

ـ تصرف لا ينطبق على التعليمات . اليس كذلك ؟ .

ـ للغاية ! .

وعندما كان ڤانو يهم باعادة السماعة الى مكانها اضاف ميجريه :

ـ اصطحب معك أحدا من زملائك وكلفه مراقبة الاصطبلات التى حولت الى « جاراجات » فى نفس الشارع . لأن الطبيب يستاجر أحد هذه « الجاراجات » .

ـ فليكن .

وبعد قليل ، كان ميجريه يهبط من الدرج مسرعا فى طريقه الى احدى سيارات الشرطة التى استقلها ليلحق بڤانو فى الوقت المناسب . وعند ما كان ينعطف بالسيارة فى اتجاه جسر نيف ، خيل اليه انه لمح قبعة ارنستين الخضراء . ورأى أن يتابع سيره

حتى لا يضيع وقتا . وشعر في هذا الوقت بالذات ؟ بحقيظة في نفسه ضد لوفتي .

وعاد بعد ان انتهى من عبور جسر نيف ، يراجع نفسه فيما صدر عنه ويندم على ما كان منه ، وكان ذلك بعد فوات الأوان .
فليس في الامكان تدارك الأمر ! وما عليها الا ان تنتظر عودته.

الفصـــــل الرابع

يقع مركز الشرطة في الطابق الأرضي بمبنى البلدية . وهو من تلك المباني القديمة ، المقامة على ارض فضاء تحوطها اشجار متقاربة باسقه . وكان المفروض أن يتجه ميجريه مباشرة الى مكتب الضابط المنوب . ولكنه آثر ان يسلك طريقا خلفيا ، حتى لا يجد نفسه وجها لوجه أمام جيللوم‌سيريه ، قبل أن يرتب اموره

وبعد ان جاس خلال مختلف الدهاليز ، التقى باحـــد رجال الشرطة ممن يعرفونه . فساله ميجريه مستفسرا :
ـ اين اجد الرقيب ڤانو ؟ .

ـ الباب الثالث في الممشى الثاني على اليســار .

ـ هل لك ان تذهب في استدعائه ؟ انه لن يكون بمفرده .
احرص على عدم التفوه باسمي بصوت مرتفع .

وما هي الا فترة قصيرة ، حتى وافاه فانو مسرعا .
ـ هل حضر معك ؟ .

ـ نعم .

ـ وكيف تصرفت في الأمر ؟ .

ـ حرصت على ان اذهب مزودا بطلب حضــور .

ـ وكيف ســـــارت الأمور ؟ .

ـ بين بين .. فبمجرد ان فتحت الخادم الباب ، طلبت منها أن تخطر سيدها ، وانتظرت قليلا بالردهة قبل أن يحضر لمقابلتي .

ثم سلمته طلب الحضور ، الذى القى عليه نظرة ، دون أن يعقب بشىء .

ــ اذا وافقت ، عدنا معا بالسيارة التى حضرت بها .

ــ فرفع كتفيه ، دون ان ينطق بشىء . ثم وضع قبعته على رأسه وتبعنى خارجا .

ــ وهو يجلس الآن فى غرفة مكتبى ، ولم يزل على حاله لا ينطق بكلمة واحدة .

وبعد دقيقة أو دقيقتين ، كان ميجريه فى غرفة ڤانو ، حيث وجد سيريه جالسا يدخن سيجارا كبيرا . واتجه كبير المفتشين عند دخوله فوراً الى مقعد ڤانو ، حيث جلس الى مكتبه قائلا :

ــ يؤسفنى أن أتسبب فى ازعاجك يا مسيو سيريه . الا أن الأمر يستلزم ايضاح بعض النقط الهامة .

وكما حدث فى اليوم السابق ، حدج الطبيب المفتش بنظرة فاحصة ، كانت أبعد ما تكون عن التفاهم والود . وتبادر الى ذهن ميجريه فجأة ، أن هذا الرجل يذكره بهذا الطراز من السلاطين ، الذين كان يرى صورهم فى وقت من الأوقات . فقد كان ضخم الجثة ، قوى العضلات ، يوحى لمن يراه أيضا بهذا الطراز الآخر من الأثرياء ، فى صورتهم المتعالية المطبوعة على غلاف صناديق السجائر .

وبدلا من أن يومىء موافقا ، أو أن يتمتم معترضا على الأقل ، أخرج سيريه من جيبه طلب الحضور ، والقى نظرة عليه قائلا :

ــ لقد استدعيت للحضــور بطلب من رئيس شرطة نويللى ، وتجدنى فى انتظار سماع ما يريده هذا الرئيس منى .

ــ هل أفهم من ذلك انك ترفض الاجابة من اسئلتى ؟ .

ــ بكل تأكيد .

وران الصمت على الجميع وحار ميجريه فى أمر هذا الرجل .

لقد سبق له ان قابل كل طراز من الرجال . قابل منهم الشائن المشاكس ، والصلب العنيد . وقابل منهم المتفاهم الصريح ، والماكر المخادع ، ولكنه لم يسبق له مطلقا أن قابل مثل هذا الطراز الجاف غير المهذب .

ـ أظن انه لا جدوى من المناقشة ؟ »

ـ أعتقد ذلك .

ـ حتى ولو حاولت أن اوضح لك ، ان موقفك هذا ليس في مصلحتك ؟ .

ولم يجب الطبيب بشيء »

وعندئذ قال له ميجريه :

ـ حسنا . . فلننتظر حتى تقابل رئيس الشرطة »

ونهض ميجريه في طلب الأخير ، الذى لم يفهم بسهولة ما كان مطلوبا منه ، واضطر أخيرا أن يقبل القيام بما رسم له . وكانت غرفته أحسن حالا من سائر الغرف الموجودة بالمركز ، حيث توفرت فيها سبل الراحة والدعة . وأصدر أمره للمراسلة الواقف ببابه قائلا .

ـ فليدخل مسيو سيريه ! »

فلما دخل أشار له رئيس الشرطة الى مقعد من المخمل الأحمر »

تفضل بالجلوس يا مسيو سيريه . انها مسألة روتين فقط ! ولن تستغرق هذه الاجراءات الكثير من وقتك .

وبعد أن راجع رئيس الشرطة بعض الأوراق التى قدمت اليه سأل طبيب الأسنان قائلا :

ـ انك تملك سيارة ، كما أرى ، مسجلة تحت رقم ر س ن ٨٨٢٢ ل ؟ .

فأومأ الطبيب برأسه موافقا . اما ميجريه فكان قد اتخذ له

مقعدا بجوار النافذة ، حيث يمكنــه أن يراقب ســيريه فى كل حركاته .

ـ وهل لازلت مالكا لهذه السيارة ؟ .

فأومأ براسه مرة اخرى موافقا .

ـ متى استعملتها آخر مرة ؟ .

ـ أظن انه من حقى ان اعرف السبب الداعى لهذا الاستجواب .

فتحرك رئيس الشرطة فى مقعده متململا .. اذ انه لم يكن راضيا من مبدأ الأمر عن هذه المهمة التى كلفه ميجريه أداءها .

ـ فلنفترض أن سيارتك قد نسب اليها حادث ما ...

ـ هل حدث ذلك فعلا ؟ .

ـ ولنقل اننا ابلغنا برقم سيارتك على انها صدمت احدا ما .

ـ متى كان ذلك ؟ .

وهنا اتجه رئيس الشرطة بنظراته الى ميجريه معاتبا للموقف الذى زج به فيه .

ـ يوم الثلاثاء مساء .

ـ وأين كان ذلك ؟ .

ـ بالقرب من نهر السين .

ـ ان سيارتى لم تتحرك من « الجاراج » مساء الثلاثاء .

ـ قد يكون غيرك استعملها دون علمك .

ـ أشك فى ذلك ، لأن « الجاراج » مغلق بالمفتاح .

ـ هل انت على استعداد لأن تقسم بانك لم تستعمل سيارتك يوم الثلاثاء مساء أو ليلا ؟ .

ـ وأين شهود الحادث ؟ .

ومرة أخرى اتجه رئيس الشرطة بنظراته الى ميجريه ، وكان فى هذه المرة مستنجدا . ولمــا كان الأخير قد ادرك انه لا يجدوى

من ذلك ، اشار له بما يعنى حتى لا يستمر فى استجوابه .
- ليس لدى اسئلة اخرى يا مسيو سيريه .. شكرا .

وقام الطبيب من مقعده ، ثم وضع قبعته على راسه ، وترك الغرفة بعد أن حدج ميجريه بنظرة فاحصة كلها تحد .

- لقد قمت بكل ما استطيع القيام به كما رايت .
- فعلا ..

- هل استفدت بشىء من هذا الاستجواب ؟ .
- قد يكون ذلك .

- ان هذا الرجل سيثير المتاعب .. لأنه يتمسك بحقوقه كل التمسك .

- اعرف هذا .

وبدا للجميع أن ميجريه يكاد يحاكى الطبيب فى حركاته دون ان يدرى . فبدا جامدا غامضا ثقيل الظل . واتجه بدوره صوب الباب .

ماذا تنسبون الى هذا الرجل يا ميجريه ؟ .

- لست متأكدا بعد . ربما يكون قد قتل زوجته .

وشكر لفانو ما قام به ، وخرج الى حيث كانت سيارة الشرطة فى انتظاره . وقبل أن يستقلها اتجه الى المقهى الموجود على الناصية ليشرب شيئا ينعشه . وتأمل صورته فى المرآة وتساءل فيما بينه وبين نفسه ، كيف يبدو اذا ما وضع على راسه قبعة كتلك التى كان يضعها الطبيب فوق راسه . وابتسم لما جال بخاطره من أن الصراع فى هذه القضية صراع بين اثنين من الوزن الثقيل .

وعندما اصبح فى السيارة قال للسائق :

عد بنا عن طريق شارع دى لافيرم .

وعلى مقربة من رقم ٤٣ ب ، شاهدا سيريه يسير بخطوات

واسعة وسيجاره في يده . وعندما مر أمام الجاراج لم يفته ان يلاحظ وجود الشرطي الذى كان واقفا يراقب المكان بملابسه المدنية .

ورأى ميجريه انه لا حاجة به للوقوف أمام الباب الحديدي الكبير . فماذا سيعود عليه من ذلك ؟ فقد لا يسمح له بالدخول !

ولما عاد للادارة ، وجد ارنستين تنتظره على أحر من الجمر فأذن لها بالدخول إلى مكتبه . وما أن دخلت حتى سالته :

ـ ما هي اخبارك ؟

ـ لا جديد .

وكان حانقا متوتر الأعصاب ، مع انها لم تعهد فيه ذلك ، لأنها لم تكن تعرف أن هذا هو شأنه عندما تصادفه قضية شديدة التعقيد متعثرة في أولى خطواتها .

ـ وصلتني بطاقة بريد هذا الصباح . وقد أحضرتها اليك .

وقدمت اليه بطاقة ملونة تحمل صورة فوتوغرافية لبلدية مدينة الهافر . ولم يكن مسطرا بها شيء غير عنوان لوفتي بشباك البريد فقط .

ـ من الفريد ؟

ـ العنوان بخط يده .

ـ اذن فلم يذهب الى بلجيكا ؟

ـ هذا ما يبدو . ولعله الآن خارج الحدود .

ـ هل تظنين انه سيهرب عن طريق البحر ؟

ـ استبعد ذلك .. اذ لم يسبق له أن وضع قدمه على سفينة ما ... مسيو ميجريه . بودى لو أوجه لك سؤالا . غير انني أريد إجابة صريحة منك . اذا ما حدث فرضا انه عاد الى باريس ، فما هي الاجراءات التي تتبع معه ؟

ـ بمعنى هل سيلقى القبض عليه أم لا ؟

ـ تماما .

ـ بتهمة الشروع في السرقة ؟ ».

ـ نعم ..

اذن فلتعلمي انه ما من احد يستطيع أن يفعل ذلك . لأنه لم يضبط متلبسا . علاوة على أن جيللوم سيريه ، وهو المجنى عليه ، لم يتقدم بشكوى عن حادث السطو على منزله ، بل هو ينكر ذلك بتاتا .

ـ معنى ذلك انكم ستتركونه وشأنه ؟ ».

ـ هذا اذا لم يكن كاذبا فيما اخبرك به ».

ـ هل اعده بذلك بناء على كلمتك ؟ .

ـ نعم ..

في هذه الحالة سأقوم بنشر نبذة في باب الاعلانات الشخصية بالصحيفة التي اعرف انه يداوم على قراءتها .

وبعد ان حدجته بنظرة قاسية قالت له :

ـ يلوح لي انك لم تتقدم خطوة .

ـ لم اتقدم في أية ناحية ؟ .

ـ في القضية .. هل قابلت الطبيب ؟ ».

ـ من نصف ساعة .

ـ وماذا قال لك ؟ ».

ـ لا شيء ..

ولم يكن لديها ما تقوله بعد ذلك . وانتهزت فرصة رنين التليفون فقامت مستأذنة في الانصراف .

وبعد ان تركت الغرفة ، تناول ميجريه السماعة مزمجرا :

ـ ماذا هناك ؟ .

ـ انه انا يا سيدى الرئيس .. هل تسمح لى بمقابلتك الآن ؟ ».

وما هى الا ثوان ، حتى اقبل چانفييه على رئيسه مسرعا ، وقد بدا عليه أنه راض عن نفسه كل الرضا ».

ـ لقد وصلت الى اشياء كثيرة .. هل لديك متسع من الوقت لعرضها ؟ ».

وهبط حماسه بدافع من تصرف ميجريه ، الذى نهض فى هدوء ليخلع « جاكتته » ثم عاد الى معقده ليحل رباط عنقه دون أن يتفوه بكلمة واحدة .

ـ اولا .. قصدت الفندق الذى سبق ان اشرت اليه فى حديثى . ووجدته من الفنادق الصغيرة الواقعة على الضفة اليسرى . ولم يزد عدد نزلائه على الخمسين ، معظمهم من الأجانب ـ وهم خليط من الانجليز والسويسريين والأمريكيين ـ وغالبيتهم من السيدات كبار السن اللاتى يهوين المتاحف وكتابة الخطابات المطولة .

ـ حسنا ؟ ».
ولم يجد ميجريه ما يدعو لكل هذه التفاصيل .

ـ وقد نزلت ماريا فان ايرنس بهذا الفندق مدة عام . وهم يذكرون عنها كل شىء ، لأنها كانت محبوبة مقربة الى قلوبهم ».. ويقولون عنها انها كانت مرحة تكثر من الضحك ومن تناول الفطائر ، كما انها كانت تواظب على حضور جميع المحاضرات التى تلقى بالسوربون .

ـ وهل هذا كل ما هنالك ؟ .
قالها ميجريه بلهجة تعنى انه لا يرى فى كل ما سمعه ما يدعو أو يتفق مع الحالة التى بدا بها جانفييه .

وكان من عادتها ان تكتب فى كل يوم تقريبا خطابات تتراوح صفحاتها بين ثمانية وعشرة اوجه .

فرفع كبير المفتشين كتفيه ، وهو يحدج جانفييه بنظرة مستفسرة ، ادرك الأخير معناها .

وكانت هذه الرسائل لسيدة واحدة . صديقة لها من ايام الدراسة تعيش فى امستردام ، تمكنت من معرفة اسمها . وجاءت

هذه الصديقة لزيارتها مرة واحدة ، حيث أقامت معها فى غرفتها مدة ثلاثة أسابيع . واعتقد أن ماريا بعد زواجها لم تقلع عن عادة الكتابة اليها . أما هذه الصديقة فتدعى جرترود أوستنج ؟ وهى متزوجة من احد أصحاب مصانع البيرة . ولن يصعب علينا الاهتداء الى عنوانها .

ـ اتصل بامستردام .

ـ هل ستطلب الاطلاع على هذه الرسائل ؟ .

ـ الأخيرة منها ان امكن .

ـ لقد فكرت فى ذلك فعلا . ألم ترد انباء من بروكسل عن فريدى الحزين ؟ .

ـ ان فريدى فى مدينة الهافر .

ـ هل اتصل بالهافر ؟ .

ـ سأتولى بنفسى ذلك . من هو الخالى من الخدمة اليوم ؟ .

ـ تورينس عـاد هذا الصباح .

ـ ابعث به الى ..

واقبل عليه رجل من الوزن الثقيل ، ممن لا يتيسر لهم الاختفاء فى اى شارع مهما كان مزدحما بالمارة ، وممن يسترعون انظـار الناس فى أى مكان يحلون به .

ـ عليك بالتوجه فورا الى ناحية نويللى لمراقبة المنـزل رقم ٤٣ ب بشارع دى لافيرم . ولهذا المنزل باب حديدى كبير . ولتكن فى مكان ظاهر لا يخفيك عن الأعين . فاذا ما شاهدت رجلا يزيد عليك حجما وطولا فما عليك الا أن تتبعه بشرط الا يراك .

ـ هل من اوامر اخرى ؟ .

ـ لا مانع من ان تخلى نفسك من الخدمة طرفا من الليل .. فهناك احد زملائك من شرطة نويللى معين لمـراقبة « الجاراج » القريب من المنزل ويمكنه ان يقوم بذلك فى اثناء راحتك .

ـ وماذا افعل اذا خرج الرجل مستقلا سيارة ما ؟ .

ـ خذ معك احدى سياراتنا ، واحرص على أن تكون قريبة منك .

وكان الجو اشد حرارة من جو اليوم السابق . فلم يشعر ميجريه برغبة فى الذهاب الى منزله لتناول طعام الغداء . وفضل أن يعرج فى طريقه الى القسم الفنى بقصر العدالة ، على بار دوفين ليتناول كاسين من البرنو .. وبعد أن قابل مويرز رئيس القسم الفنى ، دار بينهما الحديث الآتى :

ـ ليكن ذلك حوالى الساعة الحادية عشرة . ولتحضر معك كل ما يلزم . واصطحب معك احد زملائك .

مفهوم يا سيدى المفتش .

وكان ميجريه قد اتصل بشرطة الهافر . فليس ما يمنع أن يكون فريدى الحزين قد استقل قطارا من محطة الشـمال الى « ليل » مثلا . كما لا يوجد ما يمنع من انه بعد أن اتصل تليفونيا بارنستين ، قد اتجه الى محطة سانت لازار ؟ .

ولعله قد نزل بأحد الفنادق المتواضعة ، أو قضى وقته متنقلا من بار الى بار ليشرب ميـاه فيشى ما دام لم يتعـود أن يحتسى الخمر . أو لعله يحاول أن يلوز باحدى السفن لتنقله بعيدا . ترى هل بلغت شدة الحرارة بالهافر مبلغها فى باريس ؟ .

وها هم أولاء لم يتيسر لهم بعد ، أن يهتدوا الى سيارة الأجرة التى استقلتها ماريا سيريه ونقلت بها حقائبها الى المحطة . كما أن عمال هذه المحطة وموظفيها لا يذكرون شيئا عنها .

وعندما كان يتصفح جرائد المساء ، قرأ ميجريه رسالة ارنستين الموجهة لزوجها فى باب الاعلانات الشخصية :

الفريد . عد الى باريس . ليس من خطر يهددك .

لقد سويت الأمور .   تينى

وراح فى اغفاءة لم يستيقظ منها الا فى الساعة الرابعـة والنصف ، عندما وجد نفسه فى مقعده والصحيفة موضـوعة على

ركبتيه . وادرك انه بعد أن قرأ هذا الاعلان قد استسلم للنـوم . وشعر بمرارة فى فمة وبآلام فى ظهره . فنهض تاركا غرفة مكتبه الى ساحة الادارة ، حيث لم يجد أية سيارة من سيارات الشرطة ، ولم يجد بدا من أن يستقل احدى سيارات الأجرة من ناصـية الشـارع .

ـ شارع دى لافيرم فى نويللى . وعندما نصـــل سأدلك على المكان ؟.

وكاد يغفو مرة اخرى وهو فى السيارة ، التى وقفت به عند المقهى ، الذى سبق له التردد عليـه ، وكانت الساعة قـد بلغت الخامسة . ولم يجد احدا جالسا بشرفة المقهى . ولاحظ وقوف تورينس على مسافة قريبة . فدفع للسائق اجره ، ثم احتل مقعدا بالشرفة .

ـ ماذا يمكن ان أقدمه لك يا مسيو ميجريه ؟.

وهل هناك شيء غير قدح من البيرة ! . ان العطش بلغ به مبلغا يخيل اليه معه أنه يستطيع أن يبتلع خمسة أو ستة أقداح دفعـة واحدة !!

ـ هل جاء الى هنا مرة أخرى ؟.

ـ طبيب الأسنان ؟ لا لقد رايت والدته صباح اليوم وهى فى طريقها الى شارع ريتشارد والاس .

وعندما سمع صرير الباب الحديدى ، نظر فراى امراة نحيفة الجسم قصيرة القامة ، تخرج متجهة فى سيرها فى الناحية المقابلة . فأسرع ميجريه ليلحق بها عند طرف غابة بولونى .

ـ مدام اوجينى ؟.

ـ ماذا تريد منى ؟.

ـ حديثا قصيرا .

ـ ان وقتى لا يسمح بذلك . ان امامى عملا كثيرا فى منزلى .

ـ أنا ضابط من ضباط الشرطة .

ـ هذا لا يغير من الأمر شيئا .

ـ أحب أن أوجه اليك بعض الأسئلة .

ـ وهل انا مضطرة لأن أجيبك عنها ؟.

ـ قد يكون هذا افضل .

ـ لست أحب رجال الشرطة .

ـ لا يمكن ان نرغمك على ذلك . هل تحبين من تعملين عندهم ؟

ـ ان النفس تعافهم .

ـ بما فى ذلك مدام سيريه ايضا ؟.

ـ انها حيوان قذر .

وهنا مرت بهم احدى سيارات الأجرة . فاستوقفها ميجريه قائلا :

ـ ساصطحبك الى منزلك .

ـ انه لا يعنينى فى كثير أو فى قليل أن يشاهدني الناس وأنا فى صحبة أحد رجال الشرطة .

ثم خطت الى السيارة بخطوات متئدة متعالية .

ـ لماذا تحقدين عليهم ؟.

ـ وماذا عنك ؟. أنت الذى تتداخل فى شئونهم ؟.

ـ هل رحلت السيدة سيريه الصغيرة ؟.

ـ الصغيرة ؟. نطقت بها فى لهجة تهكمية لاذعة .

ـ اذن فلنقل انها زوجة الابن .

ـ نعم . لقد رحلت . ولقد سررت لخلاصنا منها .

ـ وهل كانت هي الأخرى حيوانا قذرا .

ـ لا . .

ـ هل كنت تكرهينها ؟.

ـ كانت نهمة جشعة .

ـ ومتى رحلت ؟.

ـ يوم الثلاثاء .

وفى طريقهم عبر جسر بوتو ، طرقت أوجينى الزجاج بأصابعها قائلة :

ــ هنا . هل تريد منى شيئا آخر ؟.

ــ هل تسمحين لى بلحظة أخرى فى منزلك ؟.

وتركا السيارة . واجتازا فى طريقهما الى المنزل ميدانا مزدحما ثم اتجها يمينا الى الدرج المؤدى الى مسكن أوجينى .

ــ لو أسديت لى معروفا بابعادهم عن ولدى !.

ــ ابعاد من ؟.

ــ غيرك من رجال الشرطة . هؤلاء الذى لا يكفون عن مضايقة ولدى .

ــ وماذا يفعل ؟.

ــ انه يؤدى عمله .

ــ اى عمل هذا ؟.

ــ وانى لى أن أعرف ؟. وهل عندى من الوقت ما يتسع لذلك ؟. أن أعمل فى منازل غيرى ، ثم أقوم بما يجب على فى منزلى .

واتجهت بعد ان دخلا الغرفة ، للنافذة تفتحها حتى ينفذ الهواء الى الحجرة فتتجدد رائحتها الرطبة . غير انه لاحظ أن الحجرة نظيفة مرتبة . بالرغم من انها عبارة عن حجرة نوم وطعام واستقبال فى آن واحد .

ثم سألته وهى تخلع عنها قبعتها :

ــ ما هو السر فى كل ذلك ؟.

ــ ان ماريا سيريه لا يمكن العثور عليها .

ــ ما هذا ؟. انها فى هولندا .

ــ ولا فى هولندا .

ــ ولماذا تبحثون عنها ؟.

ــ لدينا من الأسباب ما يحملنا على الظن بأنها قتلت .

فلمعت عيناها ببريق خاطف ثم قالت :

ــ ولماذا لم تلقوا القبض على القتلة ؟.

ــ ليس لدينا اى دليل نستند عليه .

ــ ولذلك جئت الي لأزودك بهذا الدليل ؟.

ــ خبريني بما حدث يوم الثلاثاء ؟.

ــ لقد امضت يومها فى اعداد حقائبها .

ــ لحظة ارجوك . انها متزوجة من عامين ونصف . أليس كذلك ؟. واعتقد أن لها من المتاع الكثير ؟.

ــ فعلا . ليس أقل من ثلاثين ثوبا وما لا يعد ولا يحصى من الأحذية .

ــ وهل كانت تعتنى بهندامها ؟.

ــ انها لم تكن لتستغنى عن شيء من حاجياتها . فقد كانت تحتفظ بها مهما طال بها العهد ، ولو انها كانت لا ترتدى منها شيئا.

ــ حريصة ؟.

ــ أليس الحرص من شيمة جميع الأغنياء ؟.

ــ علمت بأن كل ما حملته معها لم يكن غير صندوق وحقيبتين.

ــ تماما . أما الباقى فقد سبقها بأسبوع .

ــ هل تعنين بهذا ، انها بعثت بصناديق أخرى للخارج ؟.

ــ صناديق ، وحقائب ، وغير ذلك . وقد وصلت احدى السيارات الكبيرة لنقل هذا كله . وكان ذلك يوم الخميس أو الجمعة .

ــ وهل قرأت ما كان مسطرا على البطاقات ؟.

ــ لا أذكر العنوان بالتفصيل . ولكننى أذكر أنها كانت مصدرة الى امستردام .

ــ وهل علم زوجها بذلك ؟.

ــ بكل تأكيد !.

ـ اذن فلم يكن رحيلها امراً مفاجئا .

ـ قد كنا نعلم بذلك بعد آخر نوبة هاجمتها .

ـ أية نوبة هذه ؟. وما نوعها ؟.

ـ نوبة قلبية ، كما كانت تقول .

ـ وهل كانت تعانى من قلبها ؟.

ـ يلوح أن الأمر كان كذلك .

ـ وهل كان يشرف على علاجها احداً ؟.

ـ الدكتور ديبوك .

ـ وهل كانت تتعاطى دواء ما ؟.

ـ بعد كل وجبة . ان الثلاثة كانوا يواظبون على ذلك . ولا زال الآخران على هـذا الحـال . فالى جانب كل كنت ارى زجاجة الدواء الخاصة به .

ـ ومم يشكو جيللوم سيريه ؟.

ـ لا اعرف .

ـ ووالدته ؟.

ـ ان أفراد الطبقة الراقية غالبا ما يشكون من شيء .

ـ وهل كانت العلاقات بينهم طيبة ؟.

ـ كانت تمر أسابيع بأسرها أحيانا ، دون أن يوجه احـدهم كلاما الى الآخر .

ـ وهل كان من عادة ماريا سيريه أن تكثر من كتابة الرسائل؟.

ـ كانت تواصل الكتابة من مطلع الشمس الى مغربها تقريبا .

ـ وهل كانت تعهد اليك بها ؟.

ـ فى معظم الأوقات . وكانت كل هذه الرسائل معنونة باسم واحد . اسم سيدة تقيم فى أمستردام .

ـ وهل حالة آل سيريه المالية حسنة ؟.

ـ اعتقد ذلك .

ـ وحالة ماريا المالية ؟.

ـ حسنة بدون شك . والا لما تزوج بها .

ـ هل كنت تعملين فى منزلهم عندما تم زواجهما ؟.

ـ لا .

ـ ألا تعرفين من كانت تقوم بذلك قبلك ؟.

ـ انهم يغيرون من تعمل لديهم باستمرار . فهذا الأسبوع هو آخر أسبوع بالنسبة لى عندهم . انني لم استطع أن احتمل أكثر من ذلك ، كما فعل غيرى .

ـ ولماذا ؟.

ـ كيف تطيق أن تراهم يحصون عليك قطع السكر ، وعندما يتنازلون ليقدموا اليك نصف تفاحة يتحرون أن تكون تالفة عفنة ؟.

ـ الأم سيريه ؟!.

ـ نعم الأم سيريه . وآه لو رأتك جالسا لتستريح . هنا الطامة الكبرى !. كيف يكون ذلك من حقك ، وهى السيدة التى قاربت الثمانين لا تهدأ ولا تمل .

ـ وهل هى التى اعفتك من العمل عندهم ؟.

ـ لا . انها لا تعرض نفسها لمثل هذه المواقف . انهـا تحب أن تبدو فى عينيك أكثر رقة وادبا .

ـ وهل فوجئت بشىء غير عادى ، عندما عـدت الى عملك فى صباح الأربعاء ؟ أو استرعى انتباهك امر ما ؟.

ـ لا شىء على الاطلاق .

ـ ألم تلاحظى ان احدى النوافذ قد تحطم زجاجها فى اثنـاء الليل ، أو على الأقل لاحظت وجود معجون جديد حول زجاج احدى النوافذ ؟.

فأومأت برأسها موافقة ثم قالت :

ـ ولكنك أخطأت تاريخ اليوم .

ـ أى يوم ؟.

ـ يوم لاحظت ذلك ، حيث كان هذا قبل يوم الأربعاء بيومين أو بثلاثة أيام . يوم هبوب العاصفة .

ـ أواثقة أنت مما تقولين ؟.

ـ كل الثقة . لأنني قمت بتنظيف أرض غرفة المكتب التي أفسدتها الأمطار التي وجدت لها طريقا خلال النافذة المحطمة .

ـ ومن الذي أعاد تركيب الزجاج ؟.

ـ مسيو جيللوم .

ـ وهل هو الذي قام بشرائه ؟.

ـ نعم . وكان ذلك حوالي العاشرة صباحا .

ـ وهل أنت واثقة من التاريخ الذي حدثتني به ؟.

ـ كل الثقة .

ـ شكرا جزيلا .

وشعر بأنه لم يعد هنالك ما يسألها عنه . كما شعر بأنه لم يعد له عمل في شارع دي لافيرم . اللهم الا اذا كانت أوجيني قد ألقت على مسامعه بما لقنوها اياه . وان صح ذلك ، فانها تكون أشد بلاء من الجميع وأقدر على الكذب .

ـ أوتظن أنهم قتلوها ؟.

ولم يعقب . واتجه نحو الباب .

ـ بسبب زجاج النافذة ؟.

واهتزت نبرات صوتها قليلا .

ـ هل كان من المفروض أن تتحطم النافذة في التاريخ الذي حددته أنت ؟.

ـ لماذا ؟. أو تحبين أن تشهدي اليوم الذي يودعان فيه السجن ؟.

ـ ليس أحب من ذلك الى قلبي . أما وقد نطقت بالحق ...

وكأنها ندمت على قول الحق . وكأنها كانت تترقب ما يتيح لها أن تعدل عما قررته .

ـ يمكنك أن تذهب الى الحانوت الذى اشـــترى منه الزجاج لتتحقق من ذلك .

ـ شكرا على معلوماتك .

ووقف ينتظر مرور احدى سيارات الأجرة امام احد الحوانيت، وما أن اقبلت احداها حتى استقلها الى شارع دى لافيرم .

ورأى انه لم يعد هناك ما يدعو لاستمرار تورينس فى خدمته، كذلك الحال بالنسبة لرجل الشرطة المعين من قبل شرطة نويللى . وعادت اليه ذكرى حادث شارع دى لالون وما كان من ســلوك ارنستين حينئذ ، الا أن هذا الذى اقدمت عليه حديثا ، لم يكن من الطرافة فى شيء . وكان ما فيه من ازعاج للسلطات يجب أن تؤاخذ عليه . واخذ يقلب الأمر على وجوهه ، ورأى فيما رأى انه اول من يوجه اليه اللوم فى ذلك ، لاندفاعه فى هذه القضية وراء افوانها ، مما حمله على ارتكاب الكثير من التصرفات البعيـدة عن الروية والتدبر والتى جعلته يبدو شديد الحمق ، لأول مرة فى حياته ، وذلك عنــدما كان بمكتب رئيس الشرطة هذا الصباح بناحيــة نويللى .

وكان قلق . يضع قدما ليرفع الأخرى . مقلبا غليونه فى فمه يمينا ويسارا . يتحرك بجسمه كما تتحرك معه افكاره . واخـيرا قال للسائق .

ـ اتجه الى شارع لونجشامب ، حيث يوجد حانوت للادوات المنزلية . قف امامه لحظة اذا كان لم يزل مفتوحا .

لقد جازف فى هذه القضية كثيرا . وها هو ذا سيلقى بآخر سهم فى جعبته . ولتكن هذه هى الرمية الأخيرة . وحتى اذا وجــد الحانوت مغلقا ، فلن يكلف نفسه عناء العودة اليه مرة أخرى . ومع ذلك ، فأى دليل هنــاك على أن ألفريد قد اقتحم هذا المنزل فعــلا وسطا عليه ؟.

لقد خرج على دراجته فعلا من منزله فى كاى دى جيماب ، هذا أمر متفق عليه ، وفى الفجر اتصل تليفونيا بزوجته ، وهو أمر آخر

لا جدال فيه . ولكن من يدرى ومن تسمع ما دار بينهما من حديث ؟.
ـ لم يغلق ابوابه بعد !.

آه .. انه يقصد حانوت الأدوات المنزلية من غير شك . وترك السيارة الى الحانوت حيث قابله شاب طويل القامة ، فبـــــادره مستفسرا :

ـ هل تبيعون الواح الزجاج ؟.
ـ نعم يا سيدى .

ـ والمعجون الخاص بتركيبها ؟.
ـ بكل تأكيد . هل اتيت بالأبعاد ؟.

ـ انها ليست لى . هل تعرف مسيو سيريه ؟.

ـ طبيب الأسنان ؟. نعم يا سيدى .
ـ هل هو من عملائك ؟.

ـ انه عميل مستديم .
ـ هل رايته حديثا ؟.

ـ انا شخصيا لم اره حديثا ، لأننى عدت من عطلتى امس الأول فقط . وقد يكون حضوره قبل ذلك . ومن اليسير معـــرفة ذلك بمراجعة دفتر المبيعات .

ولم يستفسر الشاب من ميجريه عن السبب فى هذا . واتجه الى احد الأدراج واخرج دفترا اطلع عليه ثم قال :

ـ لقد اشترى لوحا من الزجاج فى الأسبوع الماضى .
ـ أو يمكن أن أعرف فى اى يوم كان ذلك ؟.

ـ يوم الجمعة .

لقد هبت العاصفة يوم الخميس ليلا . اذن فقد كانت اوجينى على حق . وكذلك كانت السيدة سيريه .

ـ واشترى نصف رطل من المعجون ايضا .
ـ شكرا .

وفى الوقت الذى كاد ميجريه يفقد الأمل فى هذه القضية عاد ليتعلق بخيط جديد قدم له طرفه الشاب الذى كان يستعد لغلق المحل وهو يقول بعد أن راجع اليومية مراجعة شكلية :

ـ لقد جاء الى هنا مرة اخرى هذا الاسبوع .

ـ متى ؟.

ـ يوم الأربعاء .. لقد اشترى لوحا من نفس الحجم الذى اشتراه من قبل ٤٢×٦٥ ونصف رطل آخر من المعجون .

ـ أواثق أنت من ذلك ؟.

ـ بل أستطيع أن أخبرك بأنه حضر فى ساعة مبكرة من صباح ذاك اليوم . فقد كان أول عميل يشترى من المحل فى اليوم المذكور .

ـ متى تبدءون عملكم ؟.

وهذه نقطة فى غاية الأهمية . لأن أوجينى تقرر أنها لم تلاحظ شيئا عندما بدأت عملها فى التاسعة صباحا .

ـ نحن نحضر فى التاسعة صباحا . ولكن صاحب العمل يحضر فى الثامنة .

ـ شكرا . انك ممتاز .

وكان من الطبيعى ، أن يتساءل هذا الشاب الممتاز فيما بعد عما حدا بهذا الرجل ، الذى أقبل عليه مهموما ، أن ينصرف بهذه الروح المعنوية العالية غير محاول أن يخفى انشراحه وابتهاجه .

ـ أظن أنه لا يوجد ما يدعو للخشية من العبث بهذه الصفحات؟

ـ ومن هو الذى يجرؤ على ذلك ؟. ولماذا ؟.

ـ نعم . لماذا؟. وما عليك الا أن تتبع نصيحتى وتعمل بها . كن حذرا وافتح عينيك . وسأرسل مندوبا غدا صباحا لأخذ صورة فوتوغرافية لهذا المستند .

ثم أخـرج بطاقة زيارة من جيبه قدمها للرجل الشاب الذى قرأها بدوره :

كبير المفتشين ميجريه

ادارة عموم الأمن العام

باريس

وسأله سائق السيارة :

ــ الى أين ؟.

ــ الى شارع دى لافيرم ، أمام المقهى الذى سـيقابلنا على اليسار ...

ألم يكن ، بعد ما وصل اليه ، ليستحق قدحا من البيرة، يعوضه عن كل ما مر به من اثارة . وكان على وشك أن يدعو كلا من تورينس وزميله الآخر للانضمام اليه ، ولكنه عدل عن ذلك واكتفى بدعـوة السائق :

ــ ماذا تشرب ؟.

ــ نبيذا أبيض بالفيشى .

وجلسا يستمتعان بمشروبهما ، وبانعكاس أشـعة الشمس الذهبية على أديم الشارع . ويستمعان الى صوت النسيم وهـو يتخلل أشجار غابة بولونى الباسقة .

وكان على مسافة قصيرة منهما ، ذاك البيت الذى يخيم عليـه السكون ، كما يخيم على أديرة الرهبان ، تحيط به حديقته الخضراء ببابها الحديدى الكبير فى سواده المقبض .

وهناك فى هذا المنزل ، تقيم سيدة طاعنة فى السن وكأنها كبيرة الراهبات . ويقيم معها ابنها الذى يبـدو كسلطان من سـلاطين الأقاصيص . وبين ميجريه وبينهما شوط طويل من النضال المنيف حتى تنتهى الجولة .

ان فى جعبة الحياة الكثير ، وكل شىء مرهون بوقته .

الفصل الخامس

وأمضى ميجريه سائر اليوم على الوجه الآتى . فبعد أن شرب قدحين من البيرة صحبه السائق الذى شرب بدوره كأسا من النبيذ الأبيض المخلوط بمياه فيشى ، استقل السيارة وقد اختمرت فى رأسه فكرة مواصلة السير الى الفندق الذى كانت تقيم به « ماريا فان ايرتز » مدة عام .

وفى الواقع أن جانفييه لم يترك له ما يدعوه لهذه الزيارة . غير أنه جريا على عادته التى دأب عليها دائما ، رأى أن يذهب ليلمس بنفسه طبيعة الجو والمكان ، وما كان يحيط بهذه السيدة فى حلها وترحالها .

ورأى الفندق من الخارج وكأنه يزهو بلونه الأبيض . فلما تجاوز بابه الى الداخل، وجد ان كل ما فيه يدل على ذوق جميل ، مما ترتاح لمرآه الأعين . وقابلته مديرة الفندق ، بوجهها الوردى وملابسها البيضاء ، وشابهت المكان ذوقا وجمالا .

ـ لقد كانت شخصية محبوبة حقا يا مسيو ميجريه ! وليس من شك فى ان زوجها قد سعد بها حقا ! وكنا نلاحظ عند وجودها بيننا انها كانت تحلم بالزواج .

ـ وهل نفهم من هذا انها كانت تبحث عن الزوج ؟

ـ أليس هذا هو حال جميع الفتيات ؟.

ـ أظن انها كانت قد بلغت الثمانية والأربعين عاما عندما كانت تعيش هنا ، هذا اذا لم أكن مخطئا ؟.

ـ غير ان قلبها كان لم يزل شابا !. لقد كانت تفيض حيوية ولا تنقطع عن الضحك . ولن تصدقنى اذا قلت لك انها كانت مغرمة بممارسة العاب الحيل مع صديقاتها من نزيلات الفندق . ويوجد بالقرب من المادلين ، حانوت لم يسبق لى أن لاحظت وجوده من قبل، وهى التى دلتنى عليه ، وهذا الحانوت يبيع جميع انواع هذه الخدع من فئران ميكانيكية الى ملاعق تذوب فى القهوة ، الى كؤوس

لا يمكن الشرب منها ، الى آخر ذلك مما يوقع القـــوم فى مواقف محرجة عابثة ! وكانت ماريا من احسن عملاء هذا الحانوت .
ثم استطردت قائلة :

ـ وهى ، علاوة على ذلك ، سيدة مثقفــة زارت جميع متاحف أوربا وكانت تمضى أياما طويلة فى متحف اللوفر .
ـ اسبق لها أن قدمت اليك زوجها المنتظر ؟.

ـ لا . لأنها كانت لا تطلع أحدا على اسرارها . ولعلهـــا كانت تفضل الا تحضر به الى هنا ، حتى لا تكون محلا لحسد زميلاتها . وأعتقــد أنه ممن يتمتعون بشخصية آسرة جـــذابة مما يمتاز به الدبلوماسيون .

ـ هكذا ؟!!..

ـ انه طبيب أسنان ، كما علمت منها ، لكنه لا يقابل الا القليل من مرضاه ، وبناء على موعد سابق . كما أنه من أسرة واسعة الثراء .

ـ والآنسة ڤان أيرتز ، الم تكن هى الأخرى من اسرة واســعة الثراء ؟.

ـ لقد ترك لها والدها مبلغا من المال لا يستهان به .

ـ الا خبرينى ، هل كانت بخيلة ؟.

ـ هل بلغك ذلك أيضا ؟. ليس من شك فى انهـــا كانت كذلك حقا . فعندما كانت تزمع الذهاب للمدينة مثلا ، كانت تنتظر حتى تبدى احدى النزيلات رغبتها فى ذلك فتذهب معها ، حتى لا تدفع من اجرة السيارة الا النصف . وكانت فى كل اسـبوع تناقشنى الحساب المقيد فى قائمتها .

ـ أو لا تعرفين شيئا عن الظروف التى قابلت فيها المســيو سيريه ؟.

ـ لم يكن ذلك ، فيما اعتقد ، عن طريق اعلانات الزواج .
ـ وهل كانت قد اعلنت عن رغبتها هذه فى الصحف ؟.

ـ ما أظنها كانت جادة فى ذلك . ولعلها قامت بنشر الاعلان

لمجرد الدعاية فقط . وان كنت لا اذكر على وجه التحديد ما نشرته فعلا ، الا انني اذكر ان الاعلان قد جرى على الوجه الآتي : سيدة أجنبية ، ثرية ، ترغب في مقابلة رجل يشترك معها في هذه الصفات وفي رغبة الزواج . ولقد تلقت مئات من الرسائل ردا على هذه النشرة . وكانت تحدد لبعضهم موعدا لمقابلتها باللوفر في مكان معين منه ، على أن يحمل الرجل منهم كتابا معينا بالذات أو شيئا من هذا القبيل .

ووجد ميجريه الكثيرات ممن هن على شاكلتها ، ما بين انجليزيات وسويديات وامريكيات ، يجلسن في بهو الفندق ، على مقاعدهن الوثيرة ، في دعة وفي سكون ، ليتمتعن بهدوء هذا المكان الجميل .

ـ أرجو الا يكون قد لحق بها ضرر ما .

وكانت الساعة قد بلغت السابعة تقريبا عندما ترك ميجريه سيارة الأجرة عند كاي دي أورفيفر . ورأى في طريقه الى الادارة ، جانفييه مقبلا عليه متأبطا لفافة تحت ذراعه ، وقد بدا على وجهه الانشغال والتفكير . فانتظره عند قاعدة الدرج حتى انضم اليه ، ثم صعدا معا الى الادارة .

ـ كيف تسير الأمور يا ولدي ؟

ـ على ما يرام يا سيدي الرئيس .

ـ ماذا تحمل ؟

ـ عشائي .

ولم يتذمر جانفييه أو يشكو . واكتفى بأن نظر الى رئيسه نظرة المقدر للظروف ، التي اضطرته الى ذلك .

ـ ولماذا لم تذهب الى منزلك لتناول عشائك ؟

ـ بسبب هذه المرأة جرترود . لعنة الله عليها !

ووجدا أن معظم الغرف قد خلت من شاغليها ، وكانت نوافذ الادارة مفتوحة ، فامتلأ المكان بنسيم المساء المنعش ، مما أعاد اليهما بعض نشاطهما ، وعوضهما عما قاسياه من حرارة النهار .

ـ قمت بما يلزم للاتصال بجرترود أوستنج في امستردام .

فلم أجد الا الخادم التى أجابت نداء التليفون ؟ مما اضطرتنى للاستعانة بشخص كان موجودا بقسم الأجانب لاستخراج بطاقة له، لأن الخادم لم تكن تتكلم الفرنسية .

ـ ولسوء حظى ، علمت أن السيدة أوستنج قد خرجت مع زوجها فى تمام الساعة الرابعة بعد الظهر . وذلك لحضور حفلة تنكرية . كما علمت بأنهما سيتناولان طعام العشاء مع بعض الأصدقاء فى مكان ما . وقررت بأنها لا تعلم شيئا عن موعد عودتهما للمنزل ؟ لأنها كلفت تعهد أمر الأطفال عند النوم .

ـ وبمناسبة الكلام عن الأطفال .

ـ ماذا ؟ .

ـ لا شىء يا سيدى الرئيس .

ـ هيا ، ماذا كنت قائلا !؟ .

ـ دعنا من ذلك . لا شىء أكثر من أن زوجتى ... فاليوم عيد ميلاد ولدنا الأكبر . وكانت قد أعدت عشاء خاصا لهذه المناسبة . ما علينا .

ـ هل عرفت من الخادم أن سيدتها تتكلم الفرنسية ؟ .

ـ نعم .

ـ اذن ، فلتذهب الى منزلك .

ـ ماذا تقول ؟ .

ـ قلت تذهب الى منزلك . اترك لى هذه الشطائر . سأتخلف أنا .

ـ قد يغضب هذا السيدة ميجريه .

وتطلب الأمر ان يزيد ميجريه من الحاحه ، حتى خضع جانفييه أخيرا وانطلق مسرعا ليلحق بقطار الضواحى .

وتناول ميجريه طعامه فى غرفة مكتبه ، ثم توجه لمقابلة مويرز فى المعمل ، حيث تبادل معه حديثا طويلا . ولم يغادر مويرز المعمل الا بعد الساعة التاسعة حين خيم الظلام تماما .

ـ ليس من شك فى أنك تعرف ماذا أنت فاعل ؟ .

ـ نعم يا سيدى المفتش ».

واصطحب مويرز معه احد المصورين والكثير من الأجهـزة والمعدات . ولم يكن ما سيقوم به متمشيا مع القوانين واللوائح ، غير انه ما دام قد ثبت أن جيللوم سيريه قد اشـترى لوحين من الزجاج لا لوحا واحدا ، فلم تعد مجافاة القانون ذات اهمية فى كثير أو قليل .

ولما عاد الى غرفة مكتبه ، طلب الاتصال تليفونيا بأمستردام ، وسمع الخادم تتحدث على طرف الخط الآخر ، واستطاع ان يتبين من حديثها أن سيدتها لم تعد بعد الى المنزل ».

ثم اتصل بزوجته .

ـ هل لديك مانع من مقابلتى فى حلوانى دوفين ؟ أمامى ساعة يمكن أن نقضيها معا . استقلى سيارة .

وتمتعا معا بجلسة هادئة ، وامسية جميلة ، فى شرفـة المقهى المطلة على الشارع الرئيسى فى مواجهة قصر العدالة .

وانتقل ميجريه بخيـاله ، الى شارع دى لافـيرم ، حيث كان مويرز قد بدأ عمله . لقد أصدر له ميجريه تعليماته بأن ينتظر حتى يتأكد من أن السيدة سيريه وولدها قد دخلا غرفتى نومهما . وكان على تورينس أن يقوم بالحراسة امام المنزل ، حتى يغطى مويرز فى أثناء قيامه بما كلف من عمل فى الجاراج وتفتيش السيارة تفتيشا دقيقا ، والحصول على كل ما يلزم من بصمات وآثار وغير ذلك مما يجرى عليه التحاليل والمضاهاة .

ـ اراك راضيا عن نفسك .

ـ لا يوجد ما أشكو منه .

ولم يكن مستعدا أن يعترف بانه منذ ساعات قليلة كان أبعـد ما يكون عن أن يرضى عن نفسـه ، وانه لم يكن ليتصـور مطلقا انه سيتمتع بهذه الجلسة الهادئة مع زوجته ، يرتشفان ما طاب لهمـا من شراب ومثلجات .

وترك زوجته مرتين ليذهب الى غرفة مكتبه ، حيث كان يطلب

الاتصال بامستردام . ولم يكن ذلك قبل الساعة الحادية عشرة والنصف ، حين سمع صوتا آخر غير صوت الخادم يجيبه بالفرنسية :

ـ لا أستطيع أن أسمعك جيدا ».

ـ قلت انني اتصل بك من باريس »

ـ آه !. باريس !.»

وكانت تتحدث بنبرات قوية ، وان كانت بالرغم من ذلك حلوة جذابة .

ـ من ادارة الأمن العام .»

ـ ادارة الشرطة ؟.

ـ نعم . انني أتصل بك بشأن صديقتك ماريا . هل تعرفينها ؟

ماريا سيريه . ولقبها الأصلى فان أيرتز . هل تعرفينها .

ـ أين هي ؟.»

ـ لا أعرف . انني اتصلت بك من أجل هذا . الم تكن تكتب اليك من حين لآخر ؟.»

ـ نعم ، في غالب الأوقات . كان من المفروض أن اذهب لمقابلتها بالمحطة صباح الأربعاء .»

ـ وهل توجهت لمقابلتها ؟.»

ـ نعم .

ـ وهل التقيت بها ؟.»

ـ لا .

ـ الم تبرق اليك أو تتصل بك تليفونيا لتعتذر عن حضورها ؟.»

ـ لا . وقد اقلقني ذلك .»

ـ لقد اختفت صديقتك .»

ـ ماذا تعنى ؟.»

ـ بماذا كانت تصرح لك في رسائلها ؟.»

ـ بالكثير .

وسمعها تتحدث بلغتها الى شخص ما بجوارها ، لعله كان زوجها ، الذى كان الى جانبها فى أثناء حديثها .

ـ هل يحتمل انها توفيت ؟ .

ـ يحتمل ذلك . هل كتبت اليك بأنها غير سعيدة ؟ .

ـ كانت تعسة .

ـ ولماذا ؟ .

ـ لم تكن تميل الى السيدة العجوز .

ـ حماتها ؟ .

ـ نعم .

ـ وبماذا حدثتك عن زوجها ؟ .

ـ انه لم يكن رجلا بمعنى الكلمة . لم يكن بأكثر من صبى يافع من طلبة المدارس يرتعد فرقا من أمه .

ـ منذ متى أفضت اليك بذلك ؟ .

ـ منذ زواجها تقريبا . أو بعد زواجها بأسابيع قليلة .

ـ وهل تحدثت برغبتها فى هجره منذ بدء زواجهما ؟ .

ـ لا . كان ذلك بعد عام أو اقل قليلا .

ـ وهل كتبت اليك بذلك حديثا ؟ .

ـ كتبت لى بأنها قد استقرت على قرار أخير . وسألتنى أن أبحث لها عن سكن فى امستردام يكون مجاورا لسكننا .

ـ وهل اهتديت الى سكن لها ؟ .

ـ نعم . والى خادم أيضا .

ـ اذن فقد أعددت لها كل شىء ؟ .

ـ نعم . وذهبت الى محطة السكة الحديدية .

ـ هل لديك مانع من أن تبعثى الي بصور من رسائل صديقتك ؟ وهل تحتفظين بها ؟ .

ـ لقد احتفظت بجميع رسائلها . الا أن أمر نسخ صور منها سيكون من الأمور العسيرة ، لأنها رسائل مطولة . غير أنني لا أمانع في أن أبعث اليك بما يعنيك منها . هل أنت واثق أن شيئا ما قد ألم بها ؟.

ـ لقد اقتنعت بذلك .

ـ هل قتلت ؟.

ـ لا أستبعد ذلك .

ـ أهو زوجها ؟.

ـ هذا مالم أعرفه بعد . سيدتي . أرجو أن تصغى الي . بوسعك أن تقدمي لي خدمة كبرى . هل يمتلك زوجك سيارة ؟.

ـ نعم .

ـ اذن فلتتكرمي بالتوجه الى الادارة الرئيسية للشرطة ، التي ستجدين فيها من يقوم بالعمل ليلا ، واسألي عن الضابط المنوب وبلغيه بأنك كنت تنتظرين حضور صديقتك ماريا . واطلعيه على آخر رسالة منها . ثم قومي بتحرير مذكرة تثبتين بها قلقك لعدم وصولها وتطلبين فيها بحث الموضوع .

ـ هل يتعين أن أشير الى اسمك ؟.

ـ كما تشائين . ان كل ما أطلبه منك أن تلحى في طلب القيام بالتحريات اللازمة .

ـ سأصر على ذلك حتما .

ـ شكرا . ولا تنسى أن ترسلى ما وعدتني به من رسائل .

ثم طلب الاتصال بعد ذلك بالادارة الرئيسية للشرطة في امستردام .

ـ بعد دقائق ، ستحضر السيدة أوستنج لتبلغ عن اختفاء صديقتها السيدة سيريه ، المعروفة أصلا باسم الآنسة فان ايرتز .

ـ هل كان اختفاؤها في هولندا ؟.

ـ لا . كان ذلك فى باريس . الا اننى بحاجة الى شكوى رسمية حتى تكون ذريعة لى فيما أريد القيام به . فأرجو بمجـرد تلقى بلاغها أن تبعثوا الي ببرقية تطلبون فيها عمل التحريات اللازمة .

واقتضى الأمر من ميجريه بعض الوقت ، حاول أن يشرح فيه ما غمض للضابط المنوب عن كيفية علمه بأن السيدة أوستنج قادمة اليه .

ـ سأخبرك بكل التفصيلات فيما بعد . ان كل ما اطلبه منك الآن هو البرقية . ابعث بها بالبريد المستعجل . حيث يجب أن تصلنى فى مدى نصف ساعة على الأكثر .

وعاد ليلحق بزوجته ، التى وجد انها قد بدأت تتبرم بوحدتها .

ـ هل انتهيت مما يشغلك ؟.

ـ لا . سأتناول كأسا ثم نرحل .

ـ الى المنزل ؟.

ـ الى مكتبى .

وكم كان يضايقها أن تضطر الى ذلك . لطالما ملت تلك الفترات القليلة التى اضطرت أن تقضيها بالادارة .

ـ أو تعرف أنك تبدو أمامى كمن يقوم بدور فى تمثيلية مضحكة أو كمن يدبر خدعة ليلهو بها .

ـ فعلا !. الى حد ما .

ـ ترى مع من ؟.

ـ مع شخص اذا ما وقع نظرك عليه حسبته أحد السلاطين ، وواحدا من الدبلوماسيين ، وصبيا لم يتجاوز الحلم . كل ذلك فى وقت واحد .

ـ لم افهم شيئا .

ـ اعرف ذلك !.

ولم يكن من عادته أن يبدو دائما بهذه الروح العالية . ترى كم من الكؤوس شرب ؟. ولم تكد تحصى عـددها ، حتى سمعته يطلب

كأسا آخر ، القى به فى جوفه دفعة واحدة ، ثم اخذها من ذراعها ؟
عائدا الى غرفة مكتبه .

ــ كل ما اطلبه منك : الا تشغلى نفسك ولا تشغلينى بالتحدث عن قذارة المكان وكثرة الأتربة به !.

وعندما استقر بغرفة مكتبه رفع سماعة التليفون ليسأل :

ــ هل وردت برقيات باسمى ؟.

ــ لا يا سيدى المفتش .

وبعد عشر دقائق ، عادت الحملة من شارع دى لافيرم ، ولم يتخلف منها الا تورينس .

ــ هل تم كل شىء على ما يرام ؟.

ــ نعم يا سيدى . لم يزعجنا أحد . وقد أصر تورينس على الا نبدأ عملنا الا بعد اطفاء جميع الأنوار بالمنزل . واضطررنا أن ننتظر طويلا حتى يأوى جيللوم سيريه الى فراشه .

ــ والسيارة ؟.

ولم يبق بالغرفة من رجال الحملة الا مويرز والمصور . وذلك غير السيدة ميجريه التى كانت تجلس فى ركن من الغرفة ، وكأنها لا يعنيها من الأمر شىء .

ــ قمنا بفحص السيارة فحصا دقيقا . واول ما لاحظناه أنها لم تتحرك من مكانها منذ ثلاثة أيام تقريبا . ولم نجد اى آثار تدل على وقوع صراع فى داخلها . اما فى صندوقها الخلفى ، فقد وجدنا ثلاثة خدوش أو أكثر حديثة العهد .

ــ كتلك التى تنتج عن وضع حقيبة ثقيلة الوزن مثلا ؟.

ــ تقريبا .

ــ هل وجدتم آثارا لبقع من الدم ؟.

ــ لا . ولا من الشعر . لقد فكرت فى كل ذلك . ولم نترك شيئا . وسيقوم اميل بتكبير الصور .

وهنا تدخل المصور قائلا :

ـ سأقوم بذلك الآن . يمكن أن انتهى من ذلك بعد عشرين دقيقة .

ـ سأنتظرك هنا . وهل لاحظت يا مويرز أن السيارة قد نظفت اخيرا ؟.

ـ من الخارج .. لا .. أما من الداخل فقد لاحظت أنها نظفت بكل عناية . حتى الدواسة ، لم أجد بها ذرة من غبار . ومهما يكن من أمر فقد حصلت على نماذج كثيرة للقيام بتحليلها فى المعمل .

ـ هل عثرت على أية معدات من معدات التنظيف بالجاراج ؟.

ـ لا . وبحثت عن شيء من ذلك فعلا .

ـ ولم يكن هناك شيء آخر غير طبيعى . هل يمكن أن انصرف الآن ؟.

وخلت الغرفة الا منهما ، وران على المكان صمت مطبق ، واخيرا تأمل ميجريه زوجته قائلا :

ـ الا تشعرين برغبة فى النوم ؟.

فأجابته بالنفى . ثم جالت بعينيها فى الغرفة التى أمضى بها زوجها زهرة عمره ، والتى لم تكن تعرف عنها الا القليل .

ـ أو هكذا تسير الأمور دائما ؟.

ـ أى أمور ؟.

ـ القضايا . عندما لا تعود الى المنزل .

ولعلها كانت تتصور عن عمله غير ما لمسته بنفسها . ولم تكن ترى فيه الا نوعا من المباراة السهلة الميسرة .

ـ هذا يختلف باختلاف القضايا .

ـ وهل تدور هذه القضية حول جريمة قتل ؟.

ـ فى الغالب .

ـ وهل وصلت الى معرفة القاتل ؟.

فابتسم فى وجهها ابتسامة حملتها على أن تدير راسها عنه وهى تستطرد مستفسرة :

ـ وهل يعلم انك تشك فيه ؟».
فاومأ برأسه ايجابا :
ـ لعله لا يغمض له جفن ؟».
ثم اضافت بعد لحظة وقد علتها رجفة لما كانت تفكر فيه :
ـ يا لهول ما يقاسيه !».
ـ وهل ما تعرضت له المسكينة كان أقل هولا ».
ـ أعرف ذلك . ولكنه كان أقصر أمدا . اليس كذلك ؟».
ـ يحتمل .
وبعد قليل ، تلقى ميجريه من شرطة هولندا ، البرقية التى كان يترقب وصولها تليفونيا ، على أن ترد له نسخة كتابية منها فى صباح اليوم التالى ».
ـ والآن .. هيا بنا الى منزلنا ».
ـ الن تنتظر حتى ينتهى تكبير الصور الفوتوغرافية ؟».
فابتسم مرة أخرى ، لما رآه من رغبتها فى الكشف عن المزيد تلك الرغبة التى باعدت بينها وبين الرغبة فى النوم ».
ـ لن نجد جديدا فى هذه الصور ».
ـ أو تعتقد ذلك ؟».
ـ أنا واثق من ذلك . وكذلك الحال بالنسبة للتجارب التى يجريها مويرز فى معمله ».
ـ ولماذا ؟ . الأن القاتل كان شديد الحرص ؟».
فلم يعقب بشىء . واقتاد زوجتـه الى الخارج بعد أن أطفأ الأنوار فى حجرته ».

***

ـ مسيو ميجريه ؟ . أهذا أنت ؟ ».
ونظر الى المنبه الموجود بجوار فراشه ، فوجد أن السـاعة قاربت الثامنة والنصف . لقد تركته زوجته نائما حتى يأخـذ قسطه من الراحة ، وتبين من الصوت انه لارنستين !

ـ هل أزعجتك ؟ .

ففضل الا يعترف بذلك .

ـ اتحدث اليك من مكتب البريد . لقد وجدت بطاقة اخرى باسمى .

ـ من الهافر ؟ .

ـ من دوان . وهى كالسابقة لم يسطر بها شيء غير عنوانى . كما انه لم يذكر شيء عن الاعلان الموجـــه الذى نشرته الصحف .

ثم عادت تستفسر منه بعد ان توقفت عن الحديث قليلا :

ـ هل هناك من جديد ؟ .

ـ نعـــم .

ـ وما هو ؟ .

ـ شيء يتصل بزجاج النوافذ .

ـ خبر عظيم ! .

ـ لمن ؟ .

ـ لنـــا ! .

ـ فعلا . قد يكون فيه بعض الخير لك ولالفريد .

ـ اتظن بى الظنون ! .

ـ لا . على الاقل فى الوقت الحاضر .

وعندما وصل الى الادارة العامة ، اصطحب معه جانفييه فى احدى سيارات الشرطة ، التى تولى الأخير قيادتها .

ـ شارع دى لافيرم .

ومزودا بالبرقية فى جيبـــه ، وقف بالسيارة امام البـــاب الحديدى مباشرة ، وتركها هو وزميله الى حيث فرعا البـــاب الداخلى وقد اتسمت حركاتهما بالجد وبرســمية وظيفتيهما . ولاحظا أن ستار احـدى نوافذ الطابق الثانى قد تحرك قليلا . وبعد برهة فتحت أوجينى الباب لهما .

ـ سعدت صباحا يا أوجينى . ان المسيو سيريه بالمنزل ولى كلمة معه .

ولاحظ ان هناك من يقف على الدرج ، وسمع صوت السيدة سيريه تقول :

ـ فليدخل السيدان الى غرفة الضيوف يا اوجينى .

وكانت هذه هى المرة الاولى ، التى يدخل فيها جانفييه هذا البيت . ولاحظ ميجريه أن جانفييه اخذ بالمكان . ثم سمعا وقع اقدام بالطابق العلوى . وبعد قليل فتح باب الحجرة ووقف به جيللوم سيريه شامخا كالطود .

وكان متمالكا نفسه ، تماما كما كان حاله فى اليوم السابق ، ووقف يحدجهما بنظرات هادئة وقحة قبل أن يقول :

ـ هل معك امر بأى اجراء ؟ .

فتعمد ميجريه أن يخرج حافظته من جيبه متمهلا ، ثم فتحها واخرج منها مستندا سلمه اليه بكل ادب .

ـ اليك ما تريد يا مسيو سيريه .

ولم يكن الرجل مستعدا لهـــذه المفاجأة . وتناول المســتند والقى عليه نظرة أولية ثم اتجه نحو النافذة ليتحقق من استكماله لجميع الشكليات على حين واصل ميجريه حديثه قائلا :

انه اذن بالتفتيش كما ترى ، محرر بناء على محضر التحرى الذى فتح بعد بلاغ السيدة جرترود أوستنج من أمستردام ، بشأن اختفاء السيدة ماريا سيريه ، سابقا فان أيرتز .

وعندئذ دخلت السيدة سيريه الحجرة .

ـ ماذا هناك ياجيللوم ؟ فأجابها برقة لم تعهد فيه :

ـ لا شىء يا أماه ، غير أن هذين السيدين ، كما أرى ، يريدان تفتيش المنزل . فلتصعدى الى غرفتك .

فترددت قليلا ، ثم نظرت الى ميجريه وكأنها تسأله رأيه .

ـ جيللوم ! لا تفقد أعصابك .

ـ اطمئنى يا أماه • أرجو أن تتركينا قليلا •

ولاحظ ميجريه أن الأمور لا تسير كما كان يتوقع • فزوى ما بين حاجبيه قائلا :

ـ أتوقع أنك ستكون بحاجة لأن تستشير محاميك ؟ لأننى قد أقوم بتوجيه بعض الأسئلة فيما بعد •

ـ لست بحاجة الى محام • أما وقد حصلت على اذن بالتفتيش، فلا اعتراض لى على وجودك هنا • هذا هو كل ما فى الأمر •

ـ وكان جميع نوافذ الطابق الأرضى مغلقة • فاتجه سيريه الى أقرب نافذة •

ـ لعلك تفضل مزيدا من الضوء ؟ •

وكان يتكلم بلهجة مشوبة بالازدراء •

ـ هيا الى عملكما •

ثم اتجه سيريه بعد ذلك الى غرفة المكتب لفتح نوافذها ، ومن بعدها الى غرفة العيادة •

ـ اذا مارغبتما فى الصعود الى الطابق الثانى ، أرجو اخطارى بذلك • أما جانفييه ، فقد دأب على التحديق فى وجه رئيسه وقد تملكته الحيرة منذ دخولهما الى المنزل • أما ميجريه فلم يكن منشرح الصدر كما كان فى الصباح أو فى الليلة الماضية • فقد كان قلقا مهموما •

ـ هل يمكن أن أتصل بالتليفون يا مسيو سيريه ؟ •

وكان سؤاله بنفس اللهجه المهذبة التى كان يعامله بها الآخر •

ـ هذا من حقك •

وبعد أن اتصل بالادارة العـــامة ، علم أن مويرز قدم تقريرا سلبيا كما كان ينتظر ذلك كبير المفتشين •

ـ حول الخط الى المعمل • من ؟ مويرز ؟ هل يمكن أن تحضر فورا الى شارع دى لافيرم ومعك رجالك واجهزتك ؟ •

وكان يراقب سيريه من طرف خفى . ووجده منشغلا باشعال سيجار كبير ولم يختلج له جفن .

ـ كل شيء . كلا . لايوجد أحدا . سأكون هنا .

ثم نظر الى جانفييه قائلا :

ـ يمكنك أن تبدأ عملك .

ـ من هذه الغرفة ؟ .

ـ من أية غرفة شئت .

***

ولازمهما جيللوم سيريه خطوة خطوة ، وكان يراقب ما يفعلان دون أن ينبس ببنت شفة . وراح جانفييه يفتش أدراج المكتب . على حين شغل ميجريه نفسه بسجلات الطبيب الخاصة ، التى كان يدون منها بعض الملاحظات فى دفتر مذكراته .

وفى الحق أن ميجريه كان يعلم فيما بينه وبين نفسه ، أنه لاجدوى من كل هذا الذى يقوم به . وأن كل ماكان يصبو اليه . من هذا التفتيش ، أن يرى سيريه ، وقد بدرت منه بادرة ، تفضح عما يمكن أن يفيد القضية .

وها هوذا سيريه ، يقف فى أثناء تفتيش غرفة الضيوف ، ثابتا لايتحرك ، هادئا متزنا وقد أسند ظهره للمدفأة .

وكان يراقب ميجريه ، وكأنه يتساءل عما يبحث عنـــه هذا الرجل بين أوراقه . ولم يكن اهتمامه بتتبع مايقوم به صادرا عن خوف بقدر ما هو صادر عن ترقب وفضول .

ـ ان مرضاك قليلون ، يا مسيو سيريه .

فلم يتنازل بالاجابة ، وكل ما فعله عندما سمع من المفتش ذلك أن رفع كتفيه فى غير اكتراث .

ـ كما أننى لاحظت أن عدد مرضاك من النســـاء أكثر من الرجال .

ـ وكل ما فعله ردا على ذلك ، أنه حدج المفتش بنظرة كان معناها وماذا عندك بعد ذلك ؟ .

ـ وهأنذا أرى أن أول مقابلة لك لماريا فان آيرتز كانت بسبب عملك حيث وجد ما يثبت ترددها على الطبيب خمس مرات فى مدى شهرين •

ـ هل كنت تعلم شيئا عن مدى ثرائها ؟ •

نفس الصمت • ونفس حركة الكتفين •

ـ هل تعرف الدكتور دوبوك ؟ •

فأومأ برأسه ايجابا •

ـ لقد كان الطبيب الذى أشرف على علاج زوجتك • هل أنت الذى اشرت به عليها ؟ •

وأخيرا كانت المعجزة وخرج سيريه عن صمته •

ـ كان الدكتور دوبوك هو الذى يعالج ماريا قبل أن تصبح زوجتى •

ـ وهل كنت تعلم عندما تزوجت بها أنها مريضة بالقلب ؟ •

ـ أخبرتنى بذلك فعلا •

ـ وهل كانت جادة فيما أخبرتك به ، مما جعلك تشعر بأن حالتها المرضية شديدة ؟ •

ـ تستطيع أن تسأل دوبوك عن ذلك •

ـ لقد كانت زوجتك الأولى مريضة هى الأخرى بالقلب • أليس كذلك ؟ •

ـ ستجد شهادة وفاتها بين الأوراق •

وكان جانفييه أكثر الموجودين ضيقا وتبرما بكل ما حوله • ورحب بوصول الحملة الفنية ، التى رأى فيها عاملا جديدا سيبعث فى المكان الحياة ، ويزيل عنه هذا التوتر والجمود • وما أن سمعوا صوت السيارة وهى تقف بالباب ، حتى خرج ميجريه بنفسه ليفتحه للقادمين • وقال لويرز هامسا :

ـ قم باجراءاتك كاملة غير منقوصة ، ولا تترك ركنا بدون أن تنعم النظر فيه وتفتشه تفتيشا دقيقا عن أى دليل يخدم القضية •

وفهم مويرز مايريد أن يصل اليه ميجريه بذلك • وكان قد لمح جيللوم سيريه بقامته المديدة وجسمه الضخم ، فتمتم قائلا :

ـ وهل تظن أن شيئا من ذلك سيحركه ؟ •

ـ قد ينتهى الأمر بأن يحرك أحدا ما عن موضع أقدامه !

وبعد بضع دقائق ، كان كل ما فى البيت قد قلب راسا على عقب ، ولم يترك رجال الحملة الفنيه مكانا الا بحثوا فيه وانعموا النظر فى محتوياته ، ملتقطين صورا فوتوغرافية من هنا وهناك • وعمت الفوضى المكان وساده الهرج • فقلبت المقاعد وتحركت قطع الاثاث عن مواضعها ، وتناثرت الأوراق والمستندات •

ولم يقع نظرهم على السيدة سيريه الا مرة واحدة ، نظرت فيها من فرجة الباب ثم انسحبت آسفة على كل هذا الذى يجرى فى بيتها أما أوجيينى فقد أقبلت تزمجر قائلة :

ـ أرجو ان تعيدوا كل شيء الى مكانه • أليس كذلك ؟ •

ولما كانوا فى المطبخ يقلبون ويبحثون قالت :

ـ لو قلتم فقط عم تبحثون ؟ •

وفى الحق أنهم جميعا لم يعرفوا عم يبحثون ! ولم يكن هناك شيء معين يحاولون العثور عليه • حتى ميجريه نفسه لم يكن ليستطيع أن يجيبها • ان كل ماكان يترقبه ويصبو اليه أن يتحرك هذا الرجل الذى كان يتبعهم فى كل مكان وان تبدر منه بادرة تفضح أمره • هذا الرجل الذى تحركت فى بيته كل قطعة من قطع الجماد حتى كادت أحجاره تتحرك ، ولم يتحرك هو أو يهتز •

لماذا لتبت ماريا الى صديقتها بأن سيريه لم يكن بأكثر من صبى يافع !؟ •

وبينما كان رجال ميجريه ، يواصلون القيام بعملهم ، اتصل بالدكتور دوبوك تليفونيا •

هل تسمح بان احضر لمقابلتك ؟ كلا . اؤخرك كثيرا • شكرا • ساخطر الخادم بمجرد وصولى •

واتجه ميجريه الى منزل دوبوك سيرا على قدميه • وكان يجب أن يمر فى طريقه بحانوت الأدوات المنزلية الذى زاره بالأمس • فاستوقفه الشاب الذى قابله ليلا قائلا :

– أتحضر لتصوير المستند ؟ •

– بحالا •

ولما وصل ميجريه الى منزل الدكتور دوبوك ، وجده رجلا قد قارب الخمسين ، ملتحيا ، يضع على عينيه نظارة طبية •

– هل كنت تعالج السيدة سيريه ؟ •

– السيدة سيريه الصغيرة • أو بالأحرى أصغر الاثنتين •

– ألم تشرف على علاج غيرها بالمنزل ؟ •

– فلنتحقق من ذلك • نعم ! عالجت خادما أصيبت بجرح فى يدها منذ عامين أو ثلاثة •

– وهل كانت ماريا سيريه مريضة ؟ •

– نعم • كانت بحاجة الى العلاج •

– قلبها ؟ •

– كان قلبها متضخما • وكانت تكثر من تناول الأطعمة مما لايتفق وحالتها •

– وهل كانت تكثر من استدعائك ؟ •

– مرة فى كل شهر تقريبا • وأحيانا كانت تحضر لمقابلتى هنا •

– وهل اشرت عليها بدواء معين ؟ •

– بأقراص مناسبة لحالتها المرضية •

– وهل يمكن أن تتعرض لأزمة قلبية ؟ •

– هذا أمر بعيد الاحتمال •• ربما فى مدى عشر سنوات أو خمسة عشر •

– ألم تتبع نظاما خاصا لتخفيض وزنها ؟ •

– كانت تقرر ذلك مابين الحين والآخر • ولكنها لم تكن تنفذ ذلك الا مدة أيام قليلة •

ـ وهل كنت تلتقى بزوجها ؟

ـ من حين لآخر •

ـ وما هو حكمك عليه ؟

ـ من أية ناحية ؟ طبيا ؟ لقد علمت من احدى مرضاى أنها ذهبت اليه تعالج أسنانها فوجدته رجلا على قدر كبير من المهارة والرقة •

ـ كرجل ؟

ـ ما هو السر فى كل هذه الأسئلة ؟

ـ لقد اختفت زوجته •

ـ آه !

ولاح لميجريه أن دوبوك يتفادى الاستمرار فى تيار الأسئلة التى قد تمس الحقيقة ، بما قال :

ـ ان مثل هذه الأمور تقع كثيرا • أليس كذلك ؟ ولقد أخطأ بما فعله من تكليفه الشرطة البحث عنها • فما أظن انها ستغفر له ذلك •

وفضل ميجريه الا يتمادى فى حديثه مع دوبوك • ورأى أن يعرج فى طريق عودته على الجاراج • ولاحظ انه يقع فى مواجهة احدى العمارات ، حيث وجد الحارسة تقوم بتنظيف مقبض الباب الرئيسى • فسألها :

ـ هل تطل نافذة غرفتك على الشارع ؟

ـ وهل هذا من شأنك ؟ •

ـ أنا من ضباط الشرطة • وأردت بسؤالى أن أتبين ما اذا كنت تعرفين شيئا عن الشخص الذى يحتفظ بسيارته فى الجاراج المقابل الأول من اليمين •

ـ انه طبيب الأسنان •

ـ وهل ترينه من وقت لآخر ؟

ـ أراه عندما يحضر ليستقل سيارته •

ـ وهل رأيته خلال هذا الاسبوع ؟

ـ مهلا ! ان هذا يذكرنى ـ ماهذه الضجة التى كانت فى جاراجه أمس مساء ؟ هل سطا عليه اللصوص ؟ لقد قلت لزوجى •

ـ لا • لم يكونوا بلصوص •

ـ وهل كنت أنت ؟ •

ـ لا عليك من ذلك • هل رأيته يستقل سيارته هذا الاسبوع ؟ •

ـ أعتقد ذلك •

ـ ألا تذكرّين فى أى يوم ؟ أو فى أى وقت ؟ •

ـ كان ذلك فى احدى الليالى ،وفى وقت متأخر • انتظر • كنت قد نهضت من فراشى فى ذاك الوقت • لا تنظر الى هكذا • سأتذكر كل شيء •

وبدت وكأنها تقوم بعملية حسابية •

ـ كنت قد نهضت من الفراش ، لأن زوجى كان يشكو من الم فى أسنانه • ولو كان هنا ، لأخبرك فى أى يوم كان ذلك • وتصادف عندئذ أننى رأيت مسيو سيريه خارجا بسيارته من الجاراج • فقلت لنفسى يالها من مصادفة ! •

ـ وذلك لأن زوجك كان يشكو من أسنانه ؟ •

ـ نعم • وفى نفس هذا الوقت أرسلت لنا السماء طبيب أسنان الا أن ذلك كان بعد منتصف الليل • آه •• لقد رأيت الآنسة جيرمان داخلة • لقد كان ذلك يوم الثلاثاء ، لأنها تذهب كل ثلاثاء للعب الورق مع بعض الأصدقاء •

ـ وهل كان خارجا بالسيارة ؟ أم كان عائدا بها ؟ •

ـ كان خارجا بها ولذلك عدلت عن استدعائه •

ـ وفى أى اتجاه قاد سيارته ؟ •

ـ فى اتجاه السين •

ـ ألم تلاحظى أن السيارة توقفت بعد مسيرها بقليل • أمام منزل المسيو سيريه مثلا ؟ •

ـ لم أتتبع خط سيرها • فقد كنت حافية القدمين ولم أستطع الوقوف مدة أكثر من ذلك ـ ماذا ينسب اليه ؟ •

وماذا كان بوسع ميجريه أن يجيب به ؟ فشكرها وسار فى طريقه . ثم اجتاز حديقة المنزل وقرع الجرس . وفتحت اوجينى الباب وحدجته بنظرة عتاب قاسية وهى تقول له فى اقتضاب :

ـ انهم فى الطابق العلوى الآن .

اذن فقد انتهوا من الطابق الأرضى • وسمع وقع أقدامهم فى الطابق العلوى ، كما سمع صوت تحريك المقاعد وقطع الأثاث •

وارتقى ميجريه فى الدرج الى الطابق الثانى ، حيث وجـد السيدة سيريه جالسة على مقعد فى وسط المكان • فمـا أن وقع بصرها عليه حتى قالت :

ـ لم أعد أدرى أين أذهب • عم يبحثون يامسيو ميجريه ؟ •

أما جيللوم سيريه فكان واقفا فى احدى الغرف يشعل سيجارا جديدا •

ثم سمع ميجريه السيدة سيريه تقول وهى تتنهد :

ـ يا الهى ! لماذا تركناها ترحل عنا ! اذا كنا نعـلم أن ...

ولم تتم ماكانت تريد قوله •

الفصل السادس

كانت الساعة قد بلغت الرابعة الا عشرين دقيقة عندما حزب ميجريه أمره ، وفى تمام الرابعة وخمس وعشرين دقيقه بدات عملية الاستجواب • غير أن المأساة كانت قد تمت فصولها فى اللحظةالتى حزب ميجريه فيها أمره .

ولقد كان سلوك ميجريه مفاجئا لكل من كان يعمل معه فى البيت القائم بشارع دى لافيرم • وكانت تصرفاته مبعثا لدهشتهم جميعا ، منذ أن بدأ كبير المفتشين يدير عملية التفتيش • ولم تكن هذه العملية بأول عملية من نوعها ، يشتركون فيها مع رئيسهم ، إلا انها كانت الأولى من نوعها من حيث طبيعة القيام بها ، ومن حيث

نهج أدائها الذى كان يختلف اختلافا بينا عما عداه . وكان جانفييه وهو خير من يعرف رئيسه ، أول من شعر بهذا التغيير •

فقد لاحظ عندما أطلق المفتش يدهم فى مهمتهم التى كلفهم القيام بها ، أنه يشع من عينيه بريق خاطف مشوب بالقسوة والتصميم • فتركهم ، على خلاف عادته ، يعيثون فى البيت فسادا كقطيع من كلاب الصيد • وكان كل مافيه يحرضهم على ذلك ويدفعهم اليه دفعا •

فهل كان الأمر ، أمرا خاصا بينه وبين جيللوم سيريه ؟ أو بمعنى أدق : هل كانت الأمور تسير هكذا ، وكان ميجريه يتخذ نفس القرار فى نفس اللحظة ، لو أن رجل شارع دى لافيرم كان أخف ظلا وأخف وزنا ؟ •

لقد بدا ميجريه من أول وهلة ، وهو يترقب الفرصة للايقاع به • ولو لم يكن جانفييه على معرفة تامة برئيسه ، لعزا تصرفاته هذه ، وما كان يراه منه من تشف بما صار اليه البيت من فوضى ، الى أسباب أخرى خفية •

فلم يسبق لهم من قبل أن أعطوا مثل هذه الفرصة للتفتيش فى منزل كان يسوده الهدوء والنظام ، وكأنه محراب مقدس ، وانقلب كل ما فيه رأسا على عقب ، ثم لم يخرجوا من ذلك بأى دليل يخدم القضية ، بالرغم من هذه الساعات الطويلة من البحث والتنقيب •

وعندما قرر ميجريه ماقرر فى الساعة الرابعة الا عشرين دقيقة لم تكن عملية التفتيش قد اسفرت عن شىء بعد • بل كان القائمون بذلك قد بدءوا يشعرون بالحرج ، وينتظرون من رئيسهم أن يصدر اليهم أمره بالانسحاب مع تقديم ما يجب من اعتذار ، لمن لحق به كل هذا وتعرض لما تعرض اليه •

فماذا يكون هذا الذى دفع ميجريه لأن يتخذ هذا القرار ؟ أتراه يدرك هذا ؟ لقد ذهبت بجانفييه الظنون كل مذهب ، حتى شك فى أن يكون رئيسه قد أسرف فى الشراب عندما ذهب ليتناول وجبة

خفيفة فى المقهى المقابل للبيت . وأيد شكوكه أنه اشتم من ميجريه رائحة البرنو التى كانت تفوح من فمه .

ولم تقم أوجينى باعداد المائدة لطعام الغداء . وكانت تروح وتغدو هامسة فى اذن كل من السيدة سيريه وولدها . وأخيرا توجهت السيدة الى المطبخ وتناولت طعامها وهى واقفة فى عجلة على حين أحضرت الخادم بعض الشطائر وفنجانا من القهوة للدكتور جيللوم .

ثم وصلوا فى تفتيشهم الى غرف السطح . تلك الغرف التى تعتبر من أكثر الغرف احتواء لكل ماهو شخصى ، أكثر من غرف النوم نفسها .

وقام جانفييه بفتح حقيبتين من الجلد وجد بهما بندقيتين قام بفحصهما أحد المختصين بفحص الأسلحة النارية .

ـ هل هما لك ؟ .

ـ كانتا لصهرى . ولم يسبق لى استعمالهما .

وكانوا قد عثروا منذ ساعة على مسدس بغرفة جيللوم ، ضمه ميجريه بعد فحصه ، لمجموعة ما رأى أن يحمله معه من أشياء لاعادة فحصها ومضاهاتها .

وكانت هذه الأشياء عبارة عن دفاتر الطبيب ، وبعض شهادات الوفاة الخاصة بالاسرة ومن بينها شهادة وفاة زوجة جيللوم الأولى . كما كان من بينها سترة لاحظ جانفييه أن بها تمزقا طفيفا ، قرر جيللوم انه لم يسبق له ارتداءها منذ عشرة أيام . الى غير ذلك من مثل هذه الأشياء .

واستمروا فى عملهم رغم حلول وقت الغداء . واكتفوا بتناول وجبات خفيفة فى المقهى المقابل كل بدوره . أما مويرز فلم يبرح مكانه واكتفى ببعض الشطائر التى أحضرها له المصور الفوتوغرافى .

وحوالى الساعة الثانية بعد الظهر ، اتصلت الادارة بميجريه لاخطاره بوصول مظروف كبير من هولاندا بطريق الجو . فطلب

اليهم فتحه . واتضح أنه يحتوى على رسائل ماريا المكتوبة باللغة الهولندية .

ـ ابحثوا عمن يقوم بترجمتها فورا .

ـ هنا ؟ .

ـ نعم . مع ملاحظة عدم انصرافه قبل وصولى .

ولم يغير جيللوم سيريه من حالته . وظل يتبعهم فى جميع خطواتهم ، غير تارك أية حركة تصدر عنهم الا أحصاها عليهم كما ظل محافظا على هدوئه وثباته ، لايثيره شىء أو يستفزه تصرف .

وكان يخص ميجريه بنظرات لها معناها . وكان من الواضح البين ، أنه لم يكن يشعر بوجود غيره من رجال الامن العام . لقد كان الشوط سجالا بين الاثنين . وكان الصراع بين شخصين . وكنت ترى فى عينى الطبيب تعبيرا ، لاتدرى أهو نظرة عتاب ولوم أم هو نظرة احتقار وازدراء .

ومهما يكن من أمر ، فان هذا الرجل لم يسمح لكل ذلك بأن يحرك منه ساكنا . ولم يتنازل ليعترض على أى تصرف . ووقف صاغرا يتأمل هذا الغزو لبيته ، وذاك الانتهاك لحرمته ، فى شموخ وعزوف عن أن تبدر عنه بادرة .

ماهى حقيقة هذا الرجل ؟ وماذا تراه يكون ؟ وما هو سند سلوكه هذا ؟ أهو سلوك الرجل الواثق بنفسه ؟ أم هو سلوك الرجل الذى لايدرك حقيقة ماهو فيه ؟ . وهل يتفق هذا مع ماوصفته به ماريا ، من أنه ليس بأكثر من صبى يافع ؟ لقد كان رجلا شاحب اللون ، مصفر البشرة ، معتل الصحة ، رغم ضخامة جسمه . وعثرت الحملة على مجموعة كبيرة من روشتات الاطباء ، يرجع تاريخ بعضها الى عشرين عاما . مما يمكن معه الاحاطة التامة بتاريخ الأسرة الطبى ، ومعرفة تطور حالاتها المرضية . كما عثرت الحملة ، علاوة على ذلك ، على أكداس من زجاجات الأدوية مابين قديم وجديد .

وكان جانفييه في كل مرة يخرج مع زملائه من غرفة الى غرفة أخرى ، يحرص على أن ينظر الى رئيسه بما يعني :

ـ أو فشل آخر ! •

لأن جانفييه كان لايزال يراوده الأمل في الكشف عن دليل جديد • فهل كان ميجريه من ناحية أخرى يرغب في العكس ؟ وذلك لأنه لم تبد عليه الدهشة في أية مرحلة من مراحل فشلهم ، وهو يراقبهم في هدوء ، مدخنا غليونه في تراخي الكسل • وكثيرا ماكان ينسى ان يلقي بنظرة صوب طبيب الاسنان فترة تربو على ربع ساعة •

واخيرا هبطوا جميعا الى الطابق الارضي بعد أن انتهوا من عملهم • وتبعهم جيللوم سيريه ، وخرجت والدته تطل عليهم من أعلى الدرج لتراهم في انصرافهم ووقفوا جميعا في حالة بادية من القلق وقد أحاطت بهم آثار أعمالهم •

ونظر ميجريه الى سيريه ، في هدوء غير مصطنع ، قائلا :

ـ هل تسمح باستكمال ارتداء ملابسك ؟ •

وفهم سيريه ما يعنيه ذلك • فحملق في وجهه مندهشا ، محاولا الا تفضحه خلجات وجهه . وهمت والدته بالكلام ، سواء أكان ذلك لتحتج أو لتطلب ايضاحا • فلم يدعها جيللوم تتم ما ازمعت الجهر به ، فأمسك بذراعها واتجه بها الى غرفتها •

وسأل جانفييه رئيسه هامسا :

ـ أو تلقى القبض عليه ؟ •

ولم يجبه ميجريه بشيء . لانه هو الآخر لم يكن يعرف . وفي الحق أنه لم يكن قد قرر ذلك ، الا في نفس تلك اللحظة التي طلب الى سيريه فيها أن يستكمل ارتداء ملابسه •

***

ـ ادخل يامسيو سيريه • هلا تفضلت بالجلوس ؟ •

وكانت الساعة حينئذ قد أتمت الدقيقة الخامسة والعشرين بعد الرابعة وكان اليوم يوم سبت • وقام كبير المفتشين الى البـــاب فأغلقه • أما النافذة فتركها مفتوحة • وعاد بعد ذلك الى مقعده أمام مكتبه وهو يقول للطبيب :

ـ لقد طلبت منك أن تجلس •

ومرت عشر دقائق لم ينطق ميجريه فيهـــا بكلمة ، بل شغل نفسه بالتوقيع على بعض الاوراق التي كانت موضوعة فوق مكتبه وبعد ان انتهى من ذلك استدعى جوزيف وسلمه الاوراق • ثم أخذ يعد غلايينه العديدة في هدوء متعمد ، ويملؤها بما يلزم من تبغ •

ولم يكن من الطبيعى ، لشخص فى مثل موقف سيريه ، أن يطيق ذلك ، ولا يفقد أعصابه ، وأن يجلس فى هـــــدوء منتظرا ما سيوجه اليه من أسئلة •

وأخيرا طرق بعضهم الباب ، ثم دخل المصور الفوتوغرافى الذى كان يشترك معهم فى العمل طوال اليوم ، والذى كلفه ميجريه مهمة ما ، وسلم كبير المفتشين مستندا حديث التحميض •

ـ شكرا يادامبو • لاتترك مكتبك حتى تخطرنى بذلك •

وانتظر حتى خرج المصور ، ثم اشعل غليونه :

ـ هل لك فى أن تقترب بمقعدك قليلا ، يا مسيو سيريه ؟ •

وجلس كل منهما فى مواجهة الآخر • ولم يكن ليفصـــــلهما الا مكتب ميجريه • وقام هذا بتسليم المستند لسيريه دون تعليق • فقام بفحصه بكل عناية ثم وضعه على المكتب بعد أن انتهى من الاطلاع عليه •

ـ انى أنتظر •

ـ ليس لدى ما أقوله •

وكان هذا المستند ، صورة طبق الأصل لاحدى صفحات دفتر مخزن الأدوات المنزلية • وهى الصفحة الوارد بها واقعة بيع لوح

الزجاج والمعجون فى الدفعة الثانية •

ـ هل تدرك مايعنيه هذا ؟ •

ـ هل أفهم من ذلك أنك تتهمنى ؟ •

فتردد ميجريه قليلا • ثم استقر على مايجيب به قائلا :

ـ لا • انك مدعو بصفة رسمية لسماع أقوالك كشاهد • ومع ذلك فاننى مستعد أن أوجه التهمة اليك اذا كانت هذه هى رغبتك • أو بمعنى أدق ، أن أصر النائب العام أن يوجه اليك الاتهام • الامر الذى يعطيك الحق فى أن تستشير أحد المحامين •

ـ سبق أن قلت لك أننى لست بحاجة الى محام •

كان الحديث السابق ، بمثابة الخطوات الأولى فقط • الخطوات الأولى بين بطلين من الوزن الثقيل ، يقيس بها كل منهما كفاية الآخر فى هذه الغرفة التى أصبحت حلقة للصراع بينهما • وهناك فى الغرفة الأخرى ، التى كان يجلس فيها جانفييه بين زملائه ، دار هذا الحديث ، عقب فترة الصمت التى رانت عليهم ، بعد أن استمعوا لما سرده عليهم زميلهم ، الذى قطعه بقوله :

ـ أراهن ان أمامنا شوطا لايستهان به ! •

ـ هل تظن أن الرئيس قد بدأ ؟ •

ـ نعم . لقد قرأت ذلك فى وجهه .

وكانوا جميعا يعرفون معنى ذلك بالنسبة اليهم • وكان جانفييه أول من اتصل منهم بزوجته ، ليخطرها باحتمال عدم عودته لمنزله هذا المساء •

ـ مسيو سيريه ! هل تشكو من ضعف فى القلب ؟

ـ تضخم فى القلب • ويحتمل أن تشكو أنت من ذلك أيضا •

ـ لقد توفى والدك نتيجة لضعف فى قلبه عندما كنت فى سن السابعة ، أليس كذلك ؟ •

ـ السابعة عشرة والنصف •

ـ وقد توفيت زوجتك الاولى نتيجة لضعف فى قلبها كما كانت زوجتك الثانية تشكو أيضا من ضعف قلبها •

= اذا ماراجعنا الاحصاءات ، وجدنا أن ٣٠ ٪ تقريبا يموتون نتيجة بهبوط في القلب .

ـ هل أمنت على حياتك يامسيو سيريه ؟ .

= منذ كنت طفلا .

ـ هذا صحيح .. فقد اطلعت على وثيقة التأمين ، وعلى ماأذكر أعتقد أن والدتك لم تؤمن على حياتها .

= هذا صحيح .

ـ وهل كان والدك مؤمنا على حياته ؟

ـ أعتقد ذلك .

= وزوجتك الاولى ؟

ـ لقد رأيتك تأخذ المستندات التي تخصها معك .

= وزوجتك الثانية هي الاخرى كانت تؤمن على حياتها ؟

= ان هذا اجراء طبيعي .

= ان غير الطبيعي ، أن يحتفظ الانسان بمبلغ طائل يتجاوز ثلاثة ملايين من الفرنكات الذهبيـــة والعمـــلة الورقية في خزانة ببيته .

ـ هل ترى ذلك ؟

ـ أو يمكن أن تفسر لي ، لماذا تحتفظ بمبلغ كهذا في بيتك ؟ مضحيا بما قد يعود عليك من فائدة اذا ماأودعته البنوك ؟

ـ ما أظن الا أن الآلاف من الناس ، لفاعلة ذلك ، في أيامنا هذه ، أو نسيت الضرائب الباهظة ، وتخفيض قيمة العملة .. الى غير ذلك مما يمر بنا في هذه الايام من ...

ـ اعرف ذلك ، اذن فأنت تعترف بأنك قصدت بتصرفك هذا اخفاء ماتملك والتهرب من الضرائب اضرارا بخزانة الدولة ؟

والتزم سيرية جانب الصمت .

ـ وهل كانت زوجتك ـ أعني زوجتك الثانية ماريا ـ تعلم بأنك تحتفظ بهذا المبلغ في بيتك ؟ .

= نعم .

ـ وهل علمت منك أنت بذلك ؟ .

ـ لقد كانت تحتفظ بمبالغ تخصهـا مع مايخصنى حتى أيام قليلة .

وكان يتخير ألفاظه وهو يقول ذلك ، كما كان ينطق بكل كلمة واحدة بعد أخرى فى روية وفى أناة ، محدقا بعينيه فى وجه كبير المفتشين فى اشفاق وحيرة .

ـ لم أجد بين أوراقك عقد زواج ، أو يمكن أن أستنتج من ذلك أنكما تزوجتما فى ظل قوانين التملك المشترك ؟ .

ـ هذا ماحدث فعلا .

ـ ألا يبدو هذا عجيبا بالنسبة لسن كل منكما ؟ .

ـ لقد بينت لك السبب فى ذلك ، ان العقد كان يعنى بالنسبة لنا ، التزام كل منا باستخراج كشف حساب بما لنا وما علينـا لاعلانه مع العقد .

ـ ومع ذلك ، فان التملك المشترك (اختلاط الذمة) ، ليس له فى الواقع حقيقة عملية .

ـ لقد احتفظ كل منا بحق اطلاق يده فى شئونه الخاصة .

ـ أولا يبدو كل ذلك طبيعيا لاغرابة فيه .

ـ هل كانت زوجتك من الاثرياء ؟ .

ـ ولا زالت تعد من الاثرياء .

ـ هل يعتبر ثراؤها فى مستوى ثرائك ، أو أكثر ؟ .

ـ فى مستوى واحد تقريبا .

ـ وهل تحتفظ بكل أموالها فى فرنسا ؟

ـ بالبعض منها فقط ، فقد ورثت عن والدها حصة فى مصنع للجبن بهولاندا .

ـ فى أية صورة كانت تحتفظ بما تملك عدا ذلك ؟

ـ كانت تحتفظ به ذهبا .

ـ حتى قبل أن تلتقى بك ؟

= أستطيع أن أتبين ماترمى اليه . ومهما يكن من أمر فسأصرح لك بالحقيقة : انى أشرت عليها ببيع كل ماتملك من سندات وأسهم ، وبان تشترى بثمنها ذهبا .

ـ وهل احتفظت بهذا الذهب مع ما تحتفظ به أنت فى الخزانة ؟

= نعم .. بحسب ماكان .

ـ ما كان حتى متى ؟ .

ـ حتى يوم الثلاثاء ، اذ انها بعد ظهر ذلك اليوم ، وبعد أن كادت تفرغ من اعداد حقائبها ، حضرت الى حيث كنت بالطابق الارضى وسلمتها كل مايخصها .

ـ اذن فقد كان هذا المبلغ ، عندما رحلت ، ضمن ما كان فى احدى حقيبتيها أو فى الصندوق ؟ .

ـ هذا هو المفروض .

= هل تركت المنزل قبل العشاء ؟

ـ لم أسمع أنها خرجت .

ـ اذن فهى لم تخرج بناء على معلوماتك ؟ .

فأوما برأسه مؤكدا .

= ألم تستعمل التليفون ؟

ـ التليفون الوحيد الموجود بالمنزل بحجرة مكتبى ، وهى لم تحاول استعماله .

ـ وكيف يمكن أن أتأكد من أن ماوجدته من أموال بالخزانة هو لك وحدك ، وانه لايخصكما معا ؟ .

ودون أن ينفعل ، أو يغير من تعابير وجهه التى تنطق بكل معانى الضيق والازدراء ، أخرج الطبيب من جيبه مفكرة خضراء اللون ، قدمها لكبير المفتشين الذى وجد بصفحاتها أرقاما مكتوبة بخط أنيق ، وكانت هذه الارقام مدرجة فى عامودين يعلو العمود الاول حرف (ل) ويعلو الثانى حرف (م) .

= ماذا يعنى حرف (ل) ؟ .

ـ لنا ، أى مايخص والدتى ويخصنى ، لاننا نشترك فى كل شىء طوال حياتنا دون تفرقة أو تمييز بين مالى ومالها .

ـ وحرف (م) فيما أرى ، يشير الى ماريا .

ـ تماما .

ـ ألاحظ أن هناك رقما يتكرر بانتظام .

ـ هذا الرقم يشير الى نصيبها فى نفقات المنزل .

ـ أو كانت تدفع لك فى كل شهر تكاليف اقامتها وطعامها ؟

ـ هذا اذا شئت أن تعتبره كذلك ، وفى الواقع أنها لم تكن تدفع لى شيئا ، لان جميع ماتملك من نقود كان موضوعا فى الخزانة الا أن رصيدها كان ينقص بمقدار هذا المبلغ .

واخذ ميجريه بعد ذلك يتصفح ماورد بالمفكرة ويقلب اوراقها دون أن يتكلم ، ثم نهض عن مقعده واتجه الى الغرفة المجاورة لغرفته ، حيث كان يجلس رجال المباحث ، الذين تظاهروا بأنهم منهمكون فى أعمالهم ، تماما كصبية المدارس عندما يفاجئهم أستاذهم .

وأصدر بعض التعليمات والاوامر الى جانفييه بصوت منخفض . ثم عاد أدراجه الى غرفته ، حيث وجد سيريه ، لم يزل جالسا على مقعده لم يتحرك ، وفى يده سيجار أشعله حديثا ، فتمتم عندما عاد ميجريه ليجلس الى مكتبه :

ـ هل تسمح ؟

فرفع ميجريه كتفيه وكأنه أراد أن يقول ان هذا لا يعنيه .

ـ هل فكرت فى موضوع شرائك لزجاج النافذة للمرة الثانية يامسيو سيريه ؟

ـ لم أكلف نفسى عناء التفكير فى هذا .

ـ أنا لاأوافقك على ذلك ، يحسن بك أن تجد تعليلا معقولا لهذا الموضوع .

ـ لاننى لست بحاجة لان ...

ـ أو مازلت مصرا على ترديد ما سبق أن تحدثت به من أنك لم تصلح زجاج نافذة غرفة مكتبك الا مرة واحدة ؟ •

ـ في اليوم التالى لقيام العاصفة •

ـ أو تحب أن نثبت لك عن طريق مصلحة الارصاد الجوية انه لم تكن هناك أية عاصفة جوية يوم الثلاثاء ليلا بناحية نويللى •

ـ لست أرى داعيا لذلك ، اللهم الا اذا كنت ترغب فى ذلك ؛ لاننى أقصد بما أقول عن العاصفة تلك التى هبت فى الاسبوع الماضى ولست أرى فيما قلت أى لبس •

ـ لقد توجهت فى اليوم التالى لهبوب العاصفة الى المتجر الكائن بشارع دى لونجشامب واشتريت لوحا من الزجاج وقـدرا من المعجون •

ـ وهذا ما تحدثت به فعلا •

ـ هل تقسم أنك لم تتوجه الى هذا المتجر بعد هذه المرة ؟

ثم دفع بالصورة الفوتوغرافية للمستند السابق عرضها عليه مستطردا :

ـ فسر لى الدافع للقائمين على أمر هذا المتجر ، حتى يثبتوا هذا بأوراقهم ؟ •

ـ لست أجد لذلك تفسيرا •

ـ ولماذا يقرر مدير المتجر أنك توجهت اليه صباح الاربعاء حوالى الساعة الثامنة ، اذا لم تكن قد ذهبت اليه فعلا ؟

ـ لست مسئولا عما يقرره •

ـ متى استعملت سيارتك آخر مرة ؟

ـ يوم الاحد الماضى •

ـ والى أين ذهبت بها ؟

ـ من عادتنا أنا ووالدتى ، أن نخرج بالسيارة كل أحد ، مدة ساعتين أو ثلاث ، لنجول بها قليلا •

ـ والى أى مكان اتجهتما فى هذه المرة ؟

— سرنا فى طريق غابة فونتنبلو •

— وهل كانت زوجتك معكما ؟

— لا لأنها كانت منحرفة المزاج •

— وهل كان الانفصال قد تقرر بينكما ؟

— لم يكن لذلك علاقة بأمر الانفصال ، ثم انه لم يكن هنــاك انفصال بمعنى الكلمة ، كل مافى الامر انها كانت متعبة وفى حاجة الى بعض التغيير لأنها لم تكن على وفاق مع والدتى • ولقد اجتمعت كلمتنا على انه قد يكون من الأوفق لها أن تعود الى وطنها عــدة أسابيع او شهور •

— ومع ذلك سحبت جميع نقودها معها ؟

— نعم •

— ولماذا ؟

— لانه كان من المحتمل ألا تعود ، اننا لم نعد بعد أطفــالا ، وبوسعنا أن نأخذ الحياة مأخذ الجد فى تعقل وهدوء ، وما الحياة الا تجارب •

— خبرنى يامسيو سيريه ، من المعروف أن هناك منفذين على الحدود للوصول عن طريقهما الى أمستردام ، أليس كذلك ؟ ومن المسـلم به أن رجال الجمـارك الفرنسيين لايتساهلون فى تطبيق قوانين النقد ، فكيف لم تخش زوجتك أمرها بما معها من ذهب وما تعلمه مما يستتبعه ذلك ؟ •

— أيتعين على أن أجيب عن هذا السؤال ؟

— أعتقد أن هذا يكون من الأفضل لك •

— حتى ولو كان فى اجابتى ما أخاطر به من مخالفة للقوانين والاجراءات ؟

— مهما كانت عقوبة هذه المخالفة ، فهى أقل جدبة من اتهامك بارتكابك جريمة القتل •

— حسنا ، ان احــدى حقائب زوجتى كانت مزودة بقاع سحرى •

ـ وهل أعد ذلك من أجل هذه الرحلة فقط ؟

ـ لا .

ـ وهل استعملت هذه الطريقة من قبل ؟

ـ عدة مرات .

ـ ولتمر بها من الحدود ؟ (*)

ـ الحدود البلجيكية ، وفي مرة الحدود السويسرية ، وانا واثق بعلمك أنه حتى وقت قريب ، كان الحصول على الذهب فى بلجيكا وفي سويسرا بالذات ، أكثر يسرا وأقل فى التكاليف مما هو في غيرها من البلاد .

ـ وهل تعترف باشتراكك فى هذه العمليات ؟

ـ أعترف .

وعندئذ نهض ميجريه عن مقعده واتجه للغرفة المجاورة .

ـ جانفييه . هل لك فى أن تنضم الينا لحظة ؟

فلما عاد بصحبة جانفييه قال لسيريه :

ـ سيسجل مساعدى هذا الجزء من مقابلتنا . أرجو ان تعيد على مسامعه حرفيا كل ماأخبرتنى به .

ثم قال لجانفييه :

ـ وليوقع بامضائه على أقواله بعد اثباتها .

ثم ترك ميجريه الغرفة ، الى حيث طلب من فاشيه أن يدله على الغرفة التى خصصت للمترجم . ووجده رجلا ضئيل الجسم يضع على عينيه نظارتين ، يؤدى ماعهد به اليه من ترجمة للرسائل بكتابتها على الآلة الكاتبة فورا ، متوقفا بين الفترة والاخرى ليراجع كلمة بالقاموس الذى أحضره معه .

ولاحظ ميجريه أن عدد الرسائل يقارب الاربعين رسالة ، يتضمن معظمها عدة صفحات .

ـ من أين بدأت ؟

ـ من أولها . لقد وصلت الى الثالثة . وتلك الرسائل الثلاث مؤرخة منذ عامين ونصف . ففى أولاها تخبر السيدة صديقتها

بأنها ستتزوج وأن زوجها رجل مرموق ، قوى الشخصية ، ينتمى الى طبقة مهنية سامية . وأن والدته أقرب ماتكون شبهها باحدى تلك اللوحات التى شاهدتها باللوفر ، وسأخبرك باسم صاحب اللوحة .

ثم قلب الصفحات قائلا :

ــ كلويت . انها تشير فى رسائلها دائما الى اللوحات . فاذا ما تحدثت عن الطقس مثلا ، ذكرت اسم مونيه أورينوار .

ــ افضل من الآن أن تبدأ بترجمة الرسائل من آخر رسالة .

ــ كما تريد . انك تعرف طبعا ، انني اذا قضيت طول الليل فى هذا العمل ، فانني لن أنتهى منه قبل صباح الغد ؟ .

ــ ولذلك سألتك أن تبدأ من آخر رسالة . ما هو تاريخ الرسالة الاخيرة ؟ .

ــ يوم الاحد الماضى .

ــ هل يمكن أن تعيد تلاوتها مترجمة الآن ؟

ــ يمكن ان اعطيك فكرة عنها . انتظر لحظة .

ــ عزيزتى جرترود ،

ــ « لم تكن باريس فى مثل روعتها هذا الصباح ، وكنت على وشك الخروج مع ج ووالدته للتمتع بغابة فونتنبلو وبما فيها من .... » .

ــ هل هناك الكثير من هذا القبيل ؟

ــ هل اترك سرد هذا الوصف ؟

ــ أرجوك .

ــ فشرع الرجل يمر بعينيه مر الكرام على مثل هذه الصفحات حتى قال أخيرا :

ــ اليك ما تبغى :

ــ وانى لاتساءل عما ساشعر به عند عودتى الى هولندا والى

ظلالها المورقة وعما سيكون لها من اثر فى نفسى . وانك لتجديننى كلما اقتربت من هذا اليوم ، ازدادت خشيتى منه .

« ولعلك تعجبين من قولى هذا . وتتساءلين ، بعد كل ما حدثتك به عن ج وعن والدته ، عن السبب فى شعورى هذا ، وعما طرأ واستجد ليباعد بينى وبين ما كنت أشعر به من سعادة لمجرد التفكير فى عودتى .

ـ ولعل مرجع ذلك الى الحلم الذى رأيته فى نومى ، والذى أقض مضجعى وافسد على يومى . ألا زلت تذكرين هذه اللوحة الصغيرة التى شاهدناها معا فى متحف لاهاى ، وشعرنا بالخجل ونحن نتأملها ؟ ان صاحبها غير معروف لانه لم يوقعها . الا انها تنسب الى أحد الرسامين من مدرسة فلورنتين والذى لم أعد أذكر اسمه الآن . الا تذكرين ؟ أنها رسم لرجل من رجال الغابات الخرافيين وقد حمل على كتفه امرأة ظهر من حركاتها انها تقاومه . لعلك تذكرين الآن ؟

ـ لقد كان وجه هذا الرجل هو وجه ج ، وكانت تعابير وجهه من القسوة بحيث أرعبتنى ، ووجدتنى أستيقظ من نومى وأنا أستحم فى عرقى وأرتجف فرقا .

ـ ولعل ما يدعو للعجب حقا ، اننى عندما استيقظت من نومى ، وجدتنى فريسة لفكر مشوش ، اختلط فيه الخوف بشعور آخر ، لست أدرى كنهه ، افضل أن أرجىء شرحه لك عند ما كنا نجلس لنتحدث فى مختلف الموضوعات .

ـ لقد تقرر أن أرحل يوم الثلاثاء ليلا . وهو تاريخ محدد لا جدال فيه . ومن ذلك ترين انه لم يعد أمامنا الا يومان ، ثم يتم اللقاء . واننى لأراه بعيدا بالرغم من ذلك . وسأكون مشغولة فيما لدى من اعداد وترتيب ، الامر الذى أرجو أن يهون من طول هذه المدة .

ـ وينتابنى شعور أحيانا ، وبالذات بعد هذا الحلم ، بأنه سيقع ما يكون من شأنه أن يحول دون رحيلى ».

ـ لا تقلقى . ان قرارى نهائى . وسأعمل بنصيحتك . فلم أعد استطيع تحمل هذه الحياة بعد . ولكن .

ـ هل أنت هنا ، يا سيدى الرئيس ؟

وكان القادم جانفييه بعدة أوراق فى يده .

ـ لقد تم كل شيء . انه ينتظرك .

فتناول ميجرية الاوراق ، وترك المترجم ليواصل عمله ، وعاد الى غرفة مكتبه وقد استغرق فى تفكير عميق .

ولم يكن من المستطاع حينئذ ، ان يتنبأ احد ، بما سيقتضيه هذا الاستجواب من وقت . وما أن دخل كبير المفتشين الغرفة حتى حول جيللوم سيريه عينيه فى اتجاهه : وامسك بقلم مستفسرا .

ـ اظن ان الامر يستلزم توقيعى ؟

ـ نعم ، هنا . هل راجعت أقوالك ؟

ـ نعم . هل يضايقك أن أطلب كوبا من الماء ؟

ـ الا تفضل كأسا من النبيذ الاحمر ؟

فتأمله الطبيب مبتسما . ابتسامة كلها تهكم ومرارة . ثم قال له بازدراء :

ـ أوهذا ايضا ؟

ـ وهذا ايضا يا مسيو سيريه . لقد بلغ بك الحال ، أنك كنت تتعاطى الخمر خفية خوفا من والدتك .

ـ أوسؤال آخر يتعين على أن اجيب عنه ؟

ـ هذا اذا رغبت فى ذلك .

اذن فلتسمح لى بأن اخبرك بأن جدى لوالدتى كان سكيرا . وكذلك كان حال شقيقى ووالدتى قبل وفاتهما . وبأن خالتى قضت آخر أيام حياتها فى مصحة للأمراض العقلية . الامر الذى ترتب عليه ، أن والدتى تعيش فى خوف من أن أسلك مسلكهم . لانها تعتقد أن هذا الميل ميل وراثى . لذلك كانت تنتظر عودتى عندما كنت طالبا . وليس للخمر دور فى حياتنا المنزلية ، وان كنا نحتفظ

فى القبــو بكميات كثيرة من النبيــذ . وكانت تحتفظ دائمــا معها بمفتاح هذا القبو .

ـ انها لا تسمح لك بأكثر من كأس من النبيذ الممزوج بالمــاء مع كل وجبة غداء أليس كذلك ؟

ـ أنا أعرف أنها جاءت الى هنا لزيارتك والتحدث اليك .

ـ وهل أخبرتك بما قالته لى ؟

ـ نعم .

ـ هل انت شديد التعلق بوالدتك يا مسيو سيريه ؟

ـ اننا قضينا معظم أيام حياتنا معا .

أقرب شبها بحياة زوجين متلازمين ؟

فاحمر وجهه قليلا وهو يقول :

ـ لا أفهم ماذا تعنيه بقولك هذا ؟

ـ هل تشعر والدتك بالغيرة ؟

ـ عفوا ، ما ذا تقول ؟

ـ انى أسألك عما اذا كانت والدتك ، كما يحدث غالبا ، تغار من كل من يتصل بك . وهل لك أصدقاء ؟

ـ وهل لهذا علاقة ما ، بما يقال عن اختفاء زوجتى ؟

ـ اننى لم أعثر عند التفتيش على خطاب واحد مما يتبــادله الاصدقاء . ولا على صورة من تلك الصور الفوتوغرافية التى تجمع بين الاصدقاء والتى يصادفها الانسان فى كل بيت تقريبا .

ولاذ الطبيب بالصمت ولم يعقب .

ـ كما اننى لم أعثر على صورة لزوجتك الاولى .

وواصل الطبيب اخلاده الى الصمت .

ـ واليك شيئا آخر أدهشنى يا مسيو سيريه . الصــــورة المثبتة على الجــدار فوق المدفأة ، التى أرجح انها صــورة جدك لوالدتك .

ـ نعم .

ــ الجد الذى أدمن الشراب ؟
ــ نعم .
ــوفى كل درج كنت اجد صورا لأفراد الأسرة من رجال ونساء مع والدتك . وفى الوقت نفسه لم أجد صورة واحدة لوالدك أو لاحد من افراد أسرته . ألم تلاحظ ذلك وتندهش له ؟

ــ لم يدر بخلدى شىء من ذلك .
ــ هل أعدمت هذه الصور بعد وفاة والدك ؟

ــ بوسع والدتى أن تجيب عن ذلك بأحسن مما أجيب به أنا .
ــ الا تذكر شيئا عن ذلك ؟
ــ لقد كنت فى سن مبكرة .

ــ لقد كنت فى السابعة عشرة من عمرك عندما توفى والدك . فماذا تذكر عنه يا مسيو سيريه ؟

ــ وهل يستتبع استجوابك لى أن تسألنى عن هذا ؟
ــ لعلك ترى أننا لا نثبت شيئا من هذا الاستجواب . لقد كان والدك محاميا ؟
ــ نعم .
ــ هل كان يتولى عمله بنفسه شخصيا ؟

ــ لم يكن ذلك بصفة مستديمة . فقد كان وكيل مكتبه يقوم بمعظم العمل .
ــ هل كان رجلا اجتماعيا . أم كان يقتصر فى ذلك على دائرة الأسرة ؟
ــ لقد كان كثير الاتصالات والاصدقاء .
ــ هل كانت له صديقات ؟

ــ لا أستطيع أن اصرح لك بشىء من هذا القبيل .
ــ هل توفى وهو ملازم الفراش ؟

ــ فاجأه الموت وهو يصعد فى الدرج الى غرفته .
ــ هل كنت بالمنزل حينئذ ؟

ـ لا . كنت بالخارج . فلما عدت للمنزل كان قد توفى منذ ساعتين .

ـ ومن الذى تولى أمره ؟

ـ الدكتور دوتيللو .

ـ وهل ما زال على قيد الحياة ؟

ـ لقد توفى منذ عشر سنوات .

ـ وهل حضرت وفاة زوجتك الاولى ؟

وما أن سمع ذلك حتى زوى ما بين حاجبيه ، وحدج ميجرية بنظرة ثابتة ، وقلب شفته السفلى بما يؤكد ما يعتمل فى نفسه من تأفف .

ـ أرجو ان تجيبنى عما اسألك عنه .

ـ كنت فى البيت .

ـ فى أى مكان منه ؟

ـ فى غرفة مكتبى .

ـ كم كانت الساعة حينئذ ؟

ـ حوالى التاسعة مساء .

ـ وهل كانت زوجتك فى غرفتها ؟

ـ لقد لزمت غرفتها مبكرة ، لانها كانت متعبة .

ـ وهل فاجأها المرض قبل ذلك بقليل ؟

ـ لست أذكر .

ـ هل كانت والدتك معها حينئذ ؟

ـ كانت والدتى بالطابق العلوى هى الاخرى .

ـ معها ؟ ملازمة لها ؟

ـ لا أعرف .

ـ وهل والدتك هى التى قامت باستدعائك ؟

ـ أعتقد ذلك .

ـ وهل كانت زوجتك ميتة عندما دخلت غرفتها ؟

ـ لا .

ــ وهل توفيت بعد ذلك بفترة طويلة .

ــ بعد عشرين دقيقة تقريبا . وكان الطبيب يقرع الباب حينئذ .

ــ اى طبيب ؟

ــ الدكتور دوتيللو .

ــ وهل كان دوتيللو هو طبيب العائلة ؟

ــ كان يتولى أمر علاجى مذ كنت طفلا صغيرا .

ــ أكان صديقا لوالدك ؟

ــ لوالدتى .

ــ وهل رزق بأطفال ؟

ــ باثنين أو ثلاثة .

ــ وهل انقطعت كل صلة لك بهم ؟

ــ لم يسبق لى أن اتصلت بهم شخصيا حتى أفقد اثرهم .

ــ لماذا لم تخطر الشرطة أن أحدا قد حاول سرقة ما فى خزانتك ؟

ــ لم يكن هناك ما أخطر به الشرطة .

ــ ماذا فعلت بالأدوات ؟ .

ــ أية ادوات ؟

ــ تلك الأدوات التى خلفها اللص وراءه عندما لاذ بالفرار .

ــ لم يسبق لى أن رأيت لصا أو معداته .

ــ الم تستعمل سيارتك يوم الثلاثاء ليلا او الاربعاء صباحا ؟

ــ لا . لم يحدث ذلك .

ــ الم تشك فى أن أحدا غيرك قد استعملها ؟

ــ لم يستجد ما يدعو لان اتوجه الى الجاراج بعد ذلك التاريخ .

- عندما أودعت سيارتك الجاراج ، يوم الاحد الماضى ، هل لاحظت وجود خدوش بالصندوق الخلفى ، أو بالرفرف من اليمين ؟

- لم الاحظ شيئا من ذلك .

- هل تركتما السيارة ، أنت أو والدتك ؟

ولم يجب الطبيب بشيء .

- لقد وجهت اليك سؤالا .

- وأنا أحاول أن أتذكر .

- انه لن يصعب عليك ذلك . لقد كنت تقود السيارة على مدى الطريق الى فونتنبلو . فهل تركتماها وسرتما على الاقدام قليلا ؟

- نعم . لقد قمنا بجولة فى الريف .

- تقصد فى طريق ريفى ؟

- نعم . فى طريق ضيق يمر بين الحقول على يمين الطريق العام .

- هل يمكن أن تدلنا على هذا الطريق الضيق ؟

- يمكن أن أرشدكم اليه .

- وهل كان هذا الطريق مغطى بطبقة من الاسفلت ؟

- لا اعتقد ذلك . لا . فهذا أمر مستبعد .

- أين زوجتك يا مسيو سيريه ؟

وقام كبير المفتشين عن مقعده ، غير منتظر ردا . بل استطرد قائلا :

- لأننا يجب أن نجدها ، أليس كذلك ؟

الفصل السابع

وعندما أشرفت الساعة على الخامسة ، كان جانفييه داخلا غرفة ميجريه ، بناء على استدعائه له . وقام الأخير بغلق نافذة الغرفة برغم حرارة الجو ، بسبب شدة الضوضاء المنبعثة من الخارج .

وفى تمام الساعة السادسة الا عشر دقائق ، خرج ميجريه من غرفة مكتبه بعد أن قال لجانفييه :

ـ انها مهمتك الآن !

وكان الأخير وزملاؤه ، على علم تام بكل ما ستتطور اليه الأمور ، منذ تلك اللحظة التى اصدر كبير المفتشين فيها أمره لسيريه بأن يصحبهم ، عندما كانوا بشارع دى لافيرم . كما كان جانفييه على ثقة تامة ، بأن سيريه لن يستطيع أن يخرج من ادارة الامن العام بسهولة كما دخلها . ولم يكن ليثير دهشته غير صدور القرار عن رئيسه صدورا مفاجئا ، دون أن ينتظر استكمال جمع الأدلة بين يديه .

ـ انها بغرفة الانتظار .
ـ من ؟
ـ الأم .

وأمر ميجريه ، الشرطى السرى ماركيبه ، الذى يتقن فن الاختزال ، بالوقوف خلف الباب . ثم استفسر منه جانفييه قائلا :
ـ نفس الأسئلة ؟
ـ نفس الأسئلة . وغيرها مما قد يتبادر الى ذهنك .

وكانت الفكرة هى تحطيم أعصاب طبيب الأسنان . ولن يتأتى لهم ذلك الا بتناوبهم واحدا بعد الآخر فى عملية استجوابه ، بعد نقله الى غرفتهم .

وبقى ميجريه فى غرفته وعلى مقعده ، ليواصل عمله باستدعاء المترجم ، الذى ما أن أقبل عليه حتى بادره مستوضحا :

ـ فلنتبم ماكانت تتحدث به فى رسائلها ؟

ـ قمت بترجمة الرسائل الاربع الاخيرة . ولقد صادفتني فقرة في الرسالة قبل الأخيرة ، وجدت فيها ماقد يثير اهتمامك .»

ـ لقد استقر بي الرأى أخيرا ، ياعزيزتي جرترود . ولازلت أتساءل فيما بيني وبين نفسي كيف حدث ذلك ، الا أنه لم تصادفني أحلام في الليلة الماضية ، وان كانت صادفتني ، فقد نسيتها .»

ـ هل ذكرت الكثير عن أحلامها ؟

ـ نعم . رددت ذكر الكثير عنها .

ـ هات ماعندك .

ـ لطالما سألتني عما طرأ علي من تغيير ، ولطالما أجبتك بأنك تتخيلين من الأمور ماليس له وجود ، وبأنني سعيدة هانئة . وفي الحق انني كنت أحاول أن أقنع نفسي بذلك .

ـ ولقد بذلت أقصى مافي وسعي ، مدى عامين ونصف ، لأقنع نفسي مخلصة بأنني أعيش في بيتي ، وبأن ج كان زوجي .

ـ ولكنني كنت أشعر في قرارة نفسي ، كما ترين ، بأن ذلك كان بعيدا كل البعد عن الحقيقة ، وبأنني كنت غريبة هنا ، وأكثر غربة مما كنت في هذا الفندق الذى تعرفينه ، والذى أمضينا فيه معا ساعات من العمر سعيدة .

ـ فكيف وصل بي الحال الى ماوصلت اليه ؟ وكيف رأيت الأمور على حقيقتها وتكشف لي كل شيء ؟

ـ هل تذكرين أيام كنا فتيات ناشئات ؟ لقد كنا نقضي أوقاتنا لاهيات بمقارنة كل ماتقع عليه عيوننا ـ من أناس ، وشوارع ، وحيوانات ـ بالصور التي نحتفظ بها بين مجموعات مانعتز به من صور فوتوغرافية ملونة . وكنا نأمل أن تكون الحياة على هذه الصورة . ثم تقدمنا فيما بعد ، عندما ترددنا على المتاحف ، وأصبحنا نتخذ من لوحاتها أساسا لمقارنتنا .

ـ وهذا ماطبقته في حياتي هنا . وطبقته عامدة دون ايمان بما أفعل . وفوجئت صباح اليوم ، بالبيت الذى أعيش فيه يبدو أمامي على حقيقته . رأيت حماتي ، ورأيت ج في صورتيهما الحقيقيتين دون قناع من الأوهام .

ـ لقد تخلصت من هذا القناع لفترة ما ـ أعنى قناع الأوهام يجب ان تفهميني لقد ازلت الغشاوة عن عيني ، وكنت أرفض بعناد أن أعترف بذلك .

ـ والآن ، وبعد أن تخلصت من ذلك كله ، عقدت العزم على ترك هذا المكان . ولم أصرح بذلك لأحد حتى الآن . ولايوجد عند السيدة الكبيرة اية فكرة عن هذا . ولازالت تنهج فى سلوكها معى نفس المنهج من الابتسام والرقة المصطنعة مادمت أفعل مايتفق مع ارادتها .

ـ انه لم يسبق لى أن عرفت امراة مثلها فى حبها لنفسها .

ـ وقد وضعت تحت الكلمات الأخيرة خطا ، هـذا ماعقب به القائم بالترجمة هل أستمر ؟ .

ـ أما عن ج ، فأعتقد أنه سيرتاح لرحيلى . ولعله كان يعرف أن ذلك سيحدث يوما ما منذ البداية . اننا لم نشعر على الاطلاق بالتفاهم المتبادل بين الزوجين . ولعل فى هذا مايفسر لك ، ماكان مبعثا لدهشتك منذ بداية زواجنا ، من عدم اشتراكنا فى غـرفة واحدة ؟

ـ أتعرفين اننا بعد أن قضينا عامين ونصف تحت سقف بيت واحد ، لم نزل كشخصين غريبين . وأننى عندما كنت أجده أمامى أشعر بأننى القاه لأول مرة ، كما ألقى غيره لقاء عابرا فى الشارع أو فى النفق الارضى . وهذا الشعور نفسه ينتابنى عندما يدخل الى غرفتى . الأمر الذى لم يكن ليحدث كثيرا لحسن حظى .

ـ ولعله لم يكن ليحضر الى غرفتى فى هذه المرات القليلة الا بناء على توجيه من والدته . فلست أستبعد ذلك . هل يضحكك هذا ؟ طبعا . لأن الأمر لايكون كذلك بين الزوجين . أما ج فليس بأكثر من صبى يافع من صبية المدارس توجهه أمه فى كل شىء . هل تفهمين ماأعنى ؟

ـ ولطالما تساءلت فيما بينى وبين نفسى ، هل كان الأمر كذلك مع زوجته الأولى . اننى لاأستبعد ذلك . وبناء على مارأيت فان

أمره سيكون كذلك مع الجميع . ان هؤلاء الناس ' أعنى الأم والابن كما ترين ، يعيشان فى عالم خاص بهما ، وفى دنيا اقتطعاها لنفسيهما من الحياة بعيدا ، لايحتاجان فيها لأحد .

ـ وانه لما يثير دهشتى ، أن هـذه المرأة العجوز ، كان لهـا زوج فى يوم من الأيام . فلم أسـمعهما يتحدثان بشىء عنه على الاطلاق . ففيما عداهما ، لايوجد فى هـذا العالم أحـد يعترف بوجوده أو يتحدثان عنه ، الا تلك الصور المثبتة على الجـدران ، والتى مات أصحابها ، ومازالوا موضع حديثهما ومحور تفكيرهمـا كأى حى كائن على ظهر هذه الأرض .

ـ لم أعد أطيق ذلك ياجرترود . وسأتحدث فى الأمر مع ج . وسأخبره باننى أشعر بالحاجة الى تنسم جو الحياة فى بلادى . وانى على يقين بأنه سيدرك ماأعنيه . ان كل ماأتساءل عنه بعـد ذلك ، كيف سيجد الشجاعة ليخبر أمه ...

واخيرا سأله ميجريه : هل هناك من مزيد ؟ .

ـ سبع صفحات أخرى .

ـ اذن فلتواصل عملك . ساعود اليك .

وفى طريق خروجه من غرفة مكتبه ، رأى السـيدة ميجريه جالسة فى غرفة الانتظـار . وما أن وقع نظرها عليه ، حتى همت بالقيام ، ولكنه تجـاهل ذلك ، وواصل سـيره فى المشى دون أن يتوقف ، الى أن هبط من الدرج فى طريقه الى الخارج .

وعندما استقر بالسيارة التى استقلها قال للسـائق : «شارع جاى .. لوساك ! سأخبرك اين تقف .

وكانت الأشجار الباسقة فى حدائق اللوكسمبرج ، تتمايل مع النسيم مزهوة بأغصانها . ورأى الناس يروحون ويغدون بملابسهم الزاهية الالوان ، وقد ملئت الطرقات بالأطفـال يلهون ويعبثون ، وشغلت جميع المقاعد بكل من لم يضطرب فيما يضطرب النـاس فيه من جد الحياة . وشعر بنشاطه يتجدد ، بعد أن ترك هـذا الجو القاتم فى مكتبه ، الى الحياة بكل مافيها من حركة وبهجة .

وعندما أشار للسـائق بالتوقف عند المبنى الذى يقصده ، سأل عن المحامى أورين ، وعلم أنه ملازم شـقته منـذ أكثر من شـهر

وبمجـرد أن سمع ميجريه ذلك ، تذكر كل شيء عنـه . انه على الأرجح ، من أقدم المحامين فى باريس . ان كبير المفتشين لايعرف شيئا عن حقيقة سن هذا المحامى ، ولكنه يعرف انه مذ سمع عنه ، سمع عنه كرجل متقدم فى السن ، نصف عليل ، لم يمنعه ذلك من مداومة الابتسام والظهور بمظهر الرجل المرح الممتـلىء بالحياة .

وكان يعيش مع مدبرة منزل تكاد تقاربه سنا ، فى شقته التى بعثرت فيها الكتب والمطبوعات ، بكل مكان منها فى غير نظام .

ووجد اورين جالسا على مقعد كبير فى مواجهة النافذة ، وما أن رآه داخلا حتى ابتدره قائلا :

ـ مرحبا ! ماذا هناك؟ أى ريح طيبة حملتك الى ؟ انها لمفاجأة سارة حقا ! لقد بدأت أعتقد أن الناس قد نسيتنى أو حسـبوا اننى أرقد هناك فى بير ـ لاشيز الى الأبد . ماذا عندك فى هـذه المرة ؟

وهكذا لم يحاول الرجل أن يخدع نفسه ، او يخدع زائره ؟ مما سبب بعض الحرج لميجريه ، الذى كان يعلم فى قرارة نفسه أن ماسمعه كان حقا ، وأنه لم يكن ليفكر فى زيارة هذا الرجل الا اذا شعر بحاجته اليه .

ـ لقد كنت اتساءل ، وأنا أستمع لعتابك ، عما اذا كان قد تصادف انك التقيت برجل يدعى سـيريه ، توفى منـذ أكثر من ثلاثين عاما .

ـ الين سيريه ؟ .
ـ لقد كان محاميا .
ـ انه هو ألين .
ـ أى طراز من الرجال كان هذا الرجل ؟
ـ اليس لى أن أسأل عن السر فى كل ذلك ؟
ـ ان للامر علاقة بابنه .
ـ لم يسبق لى أن رأيت هذا الابن . كنت أعلم أن له ولدا ؟ ولكن لم يسبق لى أن التقيت به . اننا ننتمى ، الين وأنا ، الى

عالم مرح منطلق ، لم تكن الحياة العائلية بالنسبة اليه هى كل شىء ، ولم تكن الحياة لتبدأ عنده وتنتهى حول مدفأة الأسرة . لقد كان مكاننا فى النادى، أو بين الكواليس فى مسارح الاستعراض، حيث كنا نحفظ أسماء الفتيات عن ظهر قلب .

ثم أضاف قائلا فى حسرة :

ـ آه لو رأيت ما رأينا !

ـ ألم تقدمك الى زوجته ؟

ـ اعتقد ذلك . ألا تقيم فى نوبللى ؟ لقد اعتزل البن جماعتنا سنين عديدة . ولم يكن هو وحده الذى فعل ذلك . فلقد حذا حذوه الكثيرون بمجرد زواجهم . ولم أتوقع أن يعود الينا ، وفجأة ، وبعد فترة طويلة

ـ وما هو مدى هذه الفترة ؟

ـ لا أذكر على وجه التحديد . بضع سنين . دعنا نرى ذلك معاً . كنا قد انتقلنا بنادينا من ضاحية سانت أونوريه الى شارع هوش . عشر سنوات ؟ أكثر قليلا ؟ فليكن . ثم عاد الى زمرتنا مرة أخرى . وكان سلوكه فى أول الامر غريبا ، وكأنه كان يشعر بأننا نضيق به لانقطاعه عنا .

ـ وبعد ؟

ـ لاشىء . لقد عاد سيرته الاولى أو أكثر قليلا . دعنا نرى مرة أخرى . ثم اختفى مع احدى الفتيات وكانت هذه الفتاة تمارس الغناء ويطلقون عليها اسما لم أعد أذكره .

ـ وهل كان من عادته أن يتعاطى الخمر ؟

ـ لم يكن بأكثر من غيره . القليل من الشمبانيا من وقت لآخر ...

ـ وماذا كان مصيره ؟

ـ مصيرنا جميعا . الموت

ـ وهل هذا هو كل ماعندك ؟

ـ اذا أردت أن تعرف ماكان من أمره بعد ذلك ، فما عليك الا

أن تسأل السماء . ان ذلك من اختصاص سانت بيتر وليس من اختصاصى . ماذا اقترف ولده ؟

ـ لست متأكدا من شيء معين حتى الآن . كل ماأعـرفه أن زوجته اختفت .

ـ أو فتاة لعوب ؟

ـ بالعكس . انها على النقيض من ذلك .

واضطر ميجريه أن يبقى ربع ساعة بعد ذلك بناء على الحاح الأستاذ الكبير ، ليطلعه على صورة لفتاة ألين سيريه ، رسمها لها احد الفنانين الهواة ، وهى ترقص .

.. أعد الكرة ياعزيزى ميجريه . كنت أرجو أن يسمح وقتك بالتخلف لتتناول معى عشائى المتواضع ...

ورأى ميجريه فى ركن الغرفة ، زجاجة نبيذ تدعو من يلمحها ؟ ووصلت الى انفه وهو فى طريقه الى الخارج رائحة الشواء المغرى .

***

لم توفق شرطة روان ، كما لم توفق شرطة الهافر ، فى العثور على أى اثر لفريدى الحزين . الأمر الذى يحتمل معـه أن لص الخزائن لم يعد موجودا فى هذه المدينة . ترى ، هل قفل راجعـا الى باريس ؟ وهل قرأ نشرة ارنستين ؟

ثم عهد ميجريه الى احد رجال المباحث بمهمة على شـاطىء النهر .

ـ من اين أبدأ ؟

ـ من أقصى مكان تستطيع مع مجرى النهر .

ورأى بعد ذلك أن يتصل بزوجته ليخطرها بأنه سيتأخر عن موعد العشاء .

ـ أوتظن انك ستتمكن من العودة للمنزل الليلة ؟

ـ يحتمل أننى لن استطيع ذلك فعلا .

انه لم يكن يأمل فى الكثير . ولكنه كان يدرك أيضا أنه تحمل مسئولية كبرى بالاندفاع وعدم التروى فى الأمر .. وذلك باحضار جيللوم سيريه الى ادارة الأمن العام دون أن يقوم اى دليل ضده .

والآن سبق السيف العزل ، ولم يعد فى مقدوره أن يتراجع ويطلق سراحه .

ومر بحالة من الابتئاس ، وغالبه النعاس . فترك غرفة مكتبه هابطا الى شرفة حلوانى دوفين . وبعد أن استعرض قائمة الطعام ، انتهى به الأمر الى طلب بعض الشطائر وقدحا من البيرة لأنه لم يشعر أن به رغبة فى الطعام .

وعاد ليرتقى فى درج الادارة فى خطوات وئيدة . وعندما وصل الى الطابق الثانى ، ألقى بنظرة على غرفة الانتظار من الخارج حيث وقع بصره أول ما وقع على قبعة خضراء ، كان قد أصبح وهو فى حالته هذه ، يرى فيها عبئا ثقيلا على أعصابه ... لقد كانت صاحبة القبعة هى ارنستين ، تجلس فى مقعد مقابل لمقعد السيدة سيريه ، وقد اتخذت لنفسها ، ما تتخذه السيدة من سمات العزم والجلد . وما أن رأته ، حتى تعمدت أن تلتقى عيناها بعينيه ، وتحييه بانحناءة طفيفة .

وفهم أنها قصدت بذلك ان يتجاهلها . لأنها عمدت بعد ذلك مباشرة ، الى مواصلة حديثها مع السيدة سيريه ، بشكل ظهرمنه أن الكلفة كانت قد رفعت بينهما فعلا .

فلم يعن بكثير او قليل من ذلك ، ودفع باب الغرفة المجاورة لغرفته ودخل فوجد كاتب الاختزال مجدا فى عمله . ووصل الى سمعه صوت جانفييه المجهد ، مع وقع خطواته التى يذرع بها الغرفة المجاورة فى غدو ورواح .

ــ بناء على ماقررته ، يامسيو سيريه ، نفهم ان زوجتك ذهبت لتبحث عن سيارة أجرة عند ناصية شارع ريتشارد والاس . فما هو الوقت الذى استغرقه هذا ؟

ــ وقبل أن يخلو جانفييه من مهمته هذه ، راى ميجريه ان يقابل مويرزالزى .

وجده منكبا على بعض المستندات لاستيفائها .

ــ الم تجد بالسيارة أية آثار أخرى بخلاف ماسبق أن حدثتنى عنه ؟

ــ لم أجد مطلقا . لقد قاموا بتنظيف السيارة تنظيفا كاملا .

ــ أواثق أنت من ذلك ؟

ــ كل الثقة .

ــ اذا فرضنا أن السيارة لم يتول أحد تنظيفها ، وأن السائق اتجه بها الى طريق ريفى .

ــ طريق مغطى بالأسفلت ؟

ــ لاأريد أن أقول ، فلنفرض انه تركها هو ومن كان معه ، وأنهما سارا معا فى طريق آخر فرعى ، ثم عادا واستقلا السيارة مرة أخرى .

ــ ولم يقم أحد بتنظيفها بعد ذلك ؟

ــ نعم .

ــ كان يجب ان أعثر على مايدل على ذلك ، مهما كان قليلا .

ــ هذا كل ماأردت أن أستفسر عنه . أرجو الا تغادر المبنى .

ــ فليكن . وبالمناسبة ، لقد عثرت على بعض الشعيرات فى غرفة المرأة المختفية . واتضح من الفحص انها كانت شقراء ، وأنها كانت تصبغ شعرها باللون الأحمر . ولقد وصلت أيضا الى معرفة المساحيق التى كانت تستعملها .

وقفل كبير المفتشين راجعا الى غرفة مكتبه . ووجد أن سحب الدخان تملأ جو الغرفة . لقد كانوا جميعا يدخنون . هو يدخن غليونه وجانفييه سجائره وسيريه سيجاره الكبير .

ــ ألا تشعر بالظما يامسيو سيريه ؟

ــ لقد قدم لى رجلكم كوبا من الماء .

وهنا انصرف جانفييه .

ــ أماكنت تفضل قدحا من البيرة ؟ أو كأسا من النبيذ ؟

وبنفس النظرة التى داب على توجيهها الى ميجريه قال له :

ــ شكرا على كل حال .

ــ ساندويتش ؟

ــ أو سيطول بى المقام هنا ؟

ـ لست أدرى . يحتمل ذلك . ان الأمر متروك لك .

ثم قام الى الغرفة المجاورة ، وسأل رجال المباحث أن يحضروا له خريطة لحى فونتنبلو .

كان يطيل فى الاجراءات ، ليكسب الوقت . ان كل هذا الذى يدور ، ماهو الا قشور ، لاتمس من الموضوع الا السطح .

ـ عندما تذهب لتناول طعامك ياجانفييه ، ابعث لنا ببعض الشطائر والجعة .

ـ مفهوم ياسيدى الرئيس .

وهنا دخل أحد رجال المباحث ، وسلمه الخريطه التى طلبها .

ـ أرنى فى أى مكان توقفت بسيارتك يوم الاحد .

وبعدان تأمل سيريه الخريطة بعض الوقت ، تناول قلما واشربه على نقطة يلتقى فيها الطريق الرئيسى بآخر فرعى .

ـ فاذا ماوجدتم مزرعة يعلوها سقف أحمر اللون على اليسار كان هذا هو الطريق الذى سرنا فيه .

ـ كم من الوقت قضيتما فى سيركما ؟

ـ حوالى ربع الساعة .

ـ هل كنت تنتعل نفس الحذاء ؟ قال ذلك وهو يشير الى حذاء سيريه ، الذى تردد قليلا قبل أن يجيب ثم نظر الى حذائه ؟ واخيرا أومأ برأسه موافقا .

ـ أواثق أنت من ذلك ؟

ـ كل الثقة .

ـ الا ترى يامسيو سيريه ، انه أولى بك ثم أولى أن تقول الصدق ؟ متى قتلت زوجتك ؟

ـ انا لم أقتل زوجتى .

وزفر ميجريه زفرة حارة . ولم يجد بدا من القيام الى الغرفة المجاورة لاصدار أوامر جديدة . ان الامر ، كما يبدو ؟ سيستغرق ساعات أخرى طوال . ولاحظ أن ملامح الاجهاد قد بدأت تظهر على الطبيب ، وأن هذه الساعات الطوال التى قضاها فى الاستجواب ، قد بدأت تنال منه ، وبدأت ترسم حول عينيه خطوطا سوداء .

ـ لماذا تزوجت منها ؟
ـ هذا ماأشارت والدتى به على .
ـ وماهو السبب فى تحمسها لذلك ؟
ـ خشية ذلك اليوم الذى قد اترك فيه وحيدا . انها لم تزل ترانى طفلا فى أمس الحاجة لأن يرعانى أحد ما .
ـ ولكى يحول بينك وبين ادمان الخمر ؟
ولم يكن هناك من سبيل للتعقيب على هذا السؤال .
ـ أظن ان زواجك بمـــاريافان‌أيرتز لم يكن عن حب متبـــادل بينكما .
ـ ان كلا منا قد قارب الخمسين .
ـ متى بدأ الخلاف يدب بينكما ؟
ـ لم يكن بيننا خلاف ما .
ـ كيف كنت تمضى سهراتك يامسيو سيريه ؟
ـ أنا ؟
ـ نعم . أنت .
ـ كنت أقضى معظم وقتى فى القراءة بغرفة مكتبى .
ـ وزوجتك ؟
ـ تحرر الرسائل فى حجرتها . وكان من عادتها أن تأوى الى فراشها فى ساعة مبكرة .
ـ هل بدد والدك كثيرا من ثروته ؟
ـ لست أفهم ما تعنى .
ـ ألم تسمع أن والدك كان يعيش أيامه بالعرض كما يقولون ؟
ـ نعم .
ـ هل أنفق مبالغ كبيرة ؟
ـ اعتقد ذلك .
ـ وهل كانت والدتك تثور لذلك ؟
ـ لسنا من هذا الطراز من الناس .
ـ ما هو مقدار ما عاد عليك من زواجك الأول ؟
ـ ارى اننا لا نتكلم بنفس اللغة .

ـ لقد تزوجت من زوجتك الأولى فى ظل قانون اختلاط الذمة ؟

ـ صحيح ٠

ـ وكانت تملك مالا ٠ ويستتبع هذا أنك كنت وريثها ٠؟

ـ هذا أمر طبيعى ٠ أم أنك ترى غير ذلك ؟

ـ وطالما لم يعثر على جثة زوجتك الثانية ، فانك لن تستطيع أن ترثها ٠

ـ ولماذا تستبعد العثور عليها حية ترزق ؟

ـ هل تعتقد ذلك ، يا مسيو سيريه ؟

ـ لأننى لم أقتلها ٠

ـ لماذا خرجت بسيارتك يوم الثلاثاء ليلا ؟

ـ لم يحدث ذلك ٠

ـ لقد شهدت حارسة المبنى المواجه للجاراج بأنها رأتك تخرج بسيارتك حوالى منتصف الليل ٠

ـ لقد نسيت أن هناك ثلاثة أبواب متقاربة ٠ وكان الظلام مخيما كما تقول ٠ فماذا يمنع من أن يكون الأمر قد اختلط عليها ؟

ـ وهل يكون الأمر قد اختلط على البائع فى مخزن الأدوات المنزلية ، عندما شهد بأنه رآك فى وضح النهار ، يوم توجهت لشراء لوح الزجاج والمعجون ثانى مرة ؟ .

ـ ان ما أقوله لا يقل صحة عما يقوله هو ٠

ـ فلنسلم بأنك لم تقتل زوجتك . ترى ماذا فعلت بالصندوق والحقائب ؟

ـ ثالث مرة يوجه لى هذا السؤال ٠ ولكنك نسيت أن تضمنه معدات اللص هذه المرة ٠

ـ أين كنت يوم الثلاثاء ليلا ؟ حوالى منتصف الليل على وجه التحديد ؟

ـ فى الفراش ٠

ـ ألم يصل الى سمعك ، أنت أو والدتك ، صوت ما ؟

ـ أظن اننى قد أخبرتك بذلك من قبل .

ـ وهل لم تلاحظ شيئا غير عادى بالمنزل صباح الأربعاء ؟

- من حقك أن توجه لى أى سؤال ، ما دمت قد بدأت جمع تحرياتك فى هذا الموضوع . ولكننى أرى أنك تنتهج معى نهجا تريد به أن تختبر قوة احتمالى ؟ لقد وجهتم لى هذه الأسئلة غير مرة أنت ورجالك . والآن تعود لتبدأ الأمر معى مرة أخرى . وأرى أنك ستواصل ذلك معى طوال الليل . وحتى لاتضيع وقتك فيمالاجدوى منه ، فقد آن الأوان لأن أؤكد لك آخر مرة أننى لم أقتل زوجتى . وأضيف الى ذلك أننى لن اجيب عن أى سؤال سبق أن وجه الى . هل يمكن أن أعرف ما اذا كانت والدتى موجودة هنا ؟

- وما الذى دعاك لأن تظن ذلك ؟
- وهل فى هذا ما يثير دهشتك ؟
- انها موجودة بغرفة الانتظار .
- أو ستتركها تمضى ليلها هنا ؟

- اذا أرادت هى أن تغادر الادارة ، فلن أحاول من ناحيتى أن أمنعها . ان لها مطلق الحرية فى ذلك .

وكانت نظرة جيللوم سيريه فى هذه المرة ، تفيض بغضا وكراهية .

- ما كنت أحب لنفسى أن أقوم بعمل مثل عملك .
- وأنا بدورى ، ما كنت أرضى لنفسى بأن أقف موقفك .

وظل كل منهما يحدق فى وجه الآخر بعينين ثابتتين ، فى اصرار وعزم وتحد . وأخيرا قال له ميجريه :

- لقد قتلت زوجتك يا سيريه كما قتلت زوجتك الأولى على الأرجح ؟

ولم يتحرك سيريه أو تختلج فى وجهه خالجة .

- وستعترف بذلك .

ولم يفعل الطبيب أكثر من أن يزم شفتيه احتقارا . ثم اعتدل فى جلسته ووضع ساقا على ساق .

- لست أمانع فى تناول شىء من الطعام .
- هل تحب أن تخلع معطفك ؟
- لا .

وجاءوا له بشطيرة بدأ يأكلهـا فى بطء شديد على حين ذهب ميجريه ليحضر له كوبا من الماء بنفسه . وكانت الساعة حينئذ قد بلغت الثامنة مساء، حيث بدأ الظلام يسدل ستاره لتظهر معه النجوم متناثرة فى صفحة السماء .

ونفد ما لدى ميجريه من تبغ ، وأرسل فى شراء كمية أخرى . وما ان أقبلت الساعة الحادية عشرة مساء ، حتى كان الطبيب يدخن آخر سيجار تبقى معه . وامتلأ جو الغرفة بالدخان وازداد ثقلا . وخرج كبير المفتشين من الغرفة مرتين ليجول فى المبنى . ورأى المرأتين فى جولته الثانية ، وقد اقتربت كل منهما بمقعدها من الأخرى وقد استغرقتا فى حديث طويل ، وكأنهما قد تعارفتا من سـنين ..

ــ ومتى كانت آخر مرة قمت فيها بتنظيف سيارتك ؟

ــ كان ذلك منذ أسبوعين ، فى جاراج بنويللى ، حيث قاموا بتغيير الزيت .

ــ ألم تتول تنظيفها مرة أخرى بعـد ذلك . بعد يوم الأحد مثلا ؟

ــ لم يحصل .

ــ اذن فلتعلم أننا قمنا بتجربة دقيقة . فقد كلفت أحد رجالى أن ينتعل حذاء يشبه حذاءك . ثم استقل احدى السيارات الى المكان الذى عينته لنا فى طريق فونتنبلو . وكما سبق أن قررت لنا أنك ومعك والدتك قد تركتما السيارة وخطوتما الى الطريق الريفى حيث سرتما به قليلا . وهذا الطريق لا يغطيه الأسفلت. ترك هذا الرجل السيارة وحذا حذوكما ، ثم قفل راجعا بالسيارة الى هنا .

وقام الخبراء المختصون بفحص دواسة السيارة . وهاهو ذا ما قاموا بجمعه مما علق بها من أتربة وآثار .

ودفع اليه بمظروف صغير ، لم يتحرك سيريه ليتناوله منه .

ــ وكان من المفروض أن نجد مثل هذه الآثار بسيارتك .

ــ وهل فى ذلك دليل على أننى قتلت زوجتى ؟

ــ انه أكبر دليل على أن السيارة قد نظفت بعد يوم الأحد .

ــ أو لم يكن فى استطاعة احد أن يدخل الجاراج فى غيابى ؟

- أستبعد ذلك .

- وكيف ؟ ألم يدخل رجالك الى الجاراج ؟

- ماذا ترمى بقولك هذا ؟

- لا شيء يا سيدى المفتش . اننى لا أتهم أحدا . فقد أردت بذلك أن أضع النقط فوق الحروف ، وأن أبين لك أن دخول رجالك الى الجاراج لم يكن اجراء قانونيا سليما .

- هل تحب أن تتصل بوالدتك ؟

- لعلك تحب أن تعـرف ما يدور بيننـا من حديث.؟ اطمئن يا مسيو ميجريه . ليس عنـدى ما أقوله لهـا ، وليس لديهـا ما تقوله لى .

وفجأة سأل المفتش :

- ألم تتناول شيئا تمسك به رمقها ؟

- لا أعرف . وكل ما أعرفه أنها حرة تفعل ما تشاء .

- انها لن تغادر المبنى ما دمت موجودا به .

- قد يعنى ذلك أنها ستبقى فترة طويلة .

فاطرق سيريه قليلا . وتغيرت حالته تغيرا شاملا . وبعد فترة تردد . قال متمتما فى استحياء :

- لعلنى لا أثقل عليك اذا ما سألتك أن تأمر بتقديم شطيرة لها ؟

- لقد أمرت بذلك فعلا .

- وهل أكلت ما قدم لها ؟

- نعم .

- وكيف حالها ؟

- انها تقضى وقتها فى حديث مستمر .

- مع من ؟

- مع شخص تصادف وجوده فى غرفة الانتظار . فتـاة من فتيات الشوارع .

ومرة أخرى تشع نظرات الحقد من عينى الطبيب .

- وذلك بناء على ترتيب منك ؟

ـ لم يكن لىّ يد فى ذلك على الاطلاق ٠

ـ ليس لدى والدتى ما تقول ٠

ـ وفى ذلك الخير كل الخير لك ٠

ثم ران عليهما صمت استمر ربع الساعة٠ وبعدها قام ميجريه الى الغرفة المجاورة، وهو أشد عبوسا من أى وقت مضى ، وأشار الى جانفييه الذى كان جالسا فى ركن من الغرفة يغالب النعاس ٠

ـ نفس الروتين يا سيدى الرئيس ؟

ـ افعل ما بدا لك ٠

ورأى كاتب الاختزال وقد بدا عليه الاجهاد ٠ كما وجد القائم بالترجمة لم يزل مكبا على عمله ٠

ـ اذهب وجئنى بارنستين الى غرفة لوفاس ٠ هى التى تضع على رأسها قبعة خضراء ٠

فلما أقبلت لوفتى ، لاحظ انها منقبضة النفس .

ـ ما كان ينبغى لك أن تقتحمى علينا المكان ٠ فقد يثير هذا شكوك المرأة العجوز ٠

ولم يكن ميجريه متزمتا معها فى الحديث ٠

ـ ترى ماذا قلت لها ؟

ـ كيف لا أعلم ماذا أتى بى الى هنا ! وكيف يختفى زوجى منذ يومين ولا أعلم عن مصيره شيئا ! لشد ما أكره الشرطة ورجال الشرطة وألاعيب رجال الشرطة وأساليبهم الملتوية ! قلت لها يا سيدى المفتش :

ـ انهم يحتجزوننى هنا ، أملا منهم فى الضغط على أعصابى ! انهم يتصورون أنهم قد يستطيعون أن يحلوا عقدة لسانى ٠

وماذا قالت لك ردا على هذا ؟

ـ سألتنى عما اذا كنت قد دخلت هذا المكان من قبل٠ فأجبتها بأننى دخلته وأمضيت فيه ليلة بطولها منذ عام مضى ، بسبب حادث وقع لزوجى فى أحد المقاهى ، وأرادوا أن يستغلوه فى اتهامه ، بأنه طعن شخصا ما بسكين٠ وما أن سمعت ذلك حتى أظهرت اشمئزازها من هذا التصرف وبدأت بعد ذلك توجه أسئلتها واحدا بعد آخر ٠

ـ وعن أى موضوع كانت تدور هذه الأسئلة ؟
ـ تكاد تكون كلها عنك · وكانت ردودى باسوأ ما يمكن أن تتصور · وراعيت بصفة خاصة أن أضيف الى ما أجبت به ، أنك كنت تعمل دائما على ارغام من يقعون بين يديك على الكلام ، بكل ما تستطيع من قسوة وقوة ·
ـ ماذا قلت ؟

ـ انى أعرف تماما ماذا فعلت · بل لقد أخبرتها بما قمت به فى وقت من الأوقات ، من تجريدك لشخص ما من ملابسه ، وتركه فى عرفة مكتبك مدى يوم بنهاره وليلة فى منتصف فصل الشتاء ، وأنك حرصت على أن تترك النافذة مفتوحة على مصراعيها·
ـ ان شيئا من هذا لم يحدث ·
ـ لقد أقامها هذا وأقعدها ·وأصبحت أقل ثقة بنفسها ، مما كانت قبل حضورى . وكانت تصغى لما اقول طوال الوقت .
ـ وهل من عادته استعمال القسوة مع الناس؟ بهذا سألتنى·
ـ ان ذلك معروف للجميع ·
ـ أو تحب أن أعود الى حديثى معها ؟
ـ اذا كنت تريدين ذلك ·
ـ من الأفضل أن يصحبنى أحد رجالك الى غرفة الانتظار ، وليتظاهر باستعمال القسوة معى ·
ـ ألم تصلك أنباء بعد من ألفريد ؟
ـ وأنت ألم يصلك شىء ما ؟
ونفذ ميجريه ما أشارت به عليه . وبعد قليل عاد رجل المباحث وقد افتر ثغره عن ابتسامة عريضة ·
ـ ماذا حدث ؟

ـ شىء طريف ! عندما كنت فى طريقى داخل غرفة الانتظار ومررت بالقرب من السيدة العجوز رفعت ذراعها تقى به وجهها خشية أن أصفعها · وما كدت أغادر الغرفة حتى انفجرت لوفتى باكية ·
واتصلت زوجة ميجريه به ، لتستفسر منه عما اذا كان قد تناول شيئا من الطعام ·

ـ هل انتظرك ؟

ـ لا . بكل تأكيد .

والم به صداع شديد . وكان برماً بنفسه وبكل من هم حوله غير مرتاح لكل ما فعله ويفعله ، قلقا ضيق الصدر . وراح يتساءل فيما بينه وبين نفسه ، عما يفعل لو اتصلت بهم ماريا فان أيرتن فجأة ، لتعلن أنها عدلت عن خطتها ، وأنها رأت أن تستقر فى بلد ما .

ورأى أن يتناول قدحا من البيرة اعقبه بغيره . ثم عاد الى غرفة مكتبه ، حيث وجد جانفييه قد فتح النافذة .

ثم جلس الى مكتبه فى استرخاء . وبعد أن انصرف جانفييه قال الطبيب متفكها :

ـ ان والدتك مقتنعة باننى أمارس معك أساليب العنف .

ففوجىء بالآخر يرفع رأسه ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح القلق وهو يقول محتداً :

ـ ترى ماذا قلتم لها ؟ .

ـ لا شىء من ناحيتنا . يحتمل أن تكون تلك الفتاة التى تجلس معها هى التى حدثتها بشىء من هذا القبيل . اننى أعرف هذا الطراز من الناس ، الذى يحب أن يختلق الاكاذيب ليجعل من نفسه شخصية مهمة .

ـ أو يمكن أن أقابلها ؟ .

ـ من ؟ .

ـ والدتى .

وتظاهر ميجريه بالتردد قبل أن يحزم أمره . وأخيرا قال : بلهجة قاطعة :

ـ لا . لاننى سأتولى بنفسى استجوابها . كما كان من الواجب أن آمر بحضور أوجينى أيضا .

ـ ان والدتى لا تعرف شيئا .

ـ وأنت ؟ .

ـ ولا انا .

ـ اذن لماذا لا استجوبها كما استجوبتك ؟ .
ـ الا يعرف قلبك الرحمة يا سيدى المفتش ؟ .
ـ لمن ؟ .
ـ لامرأة طاعنة فى السن .
ـ كانت ماريا أولى بهذه الرحمة .

وبدأ يذرع الغرفة فى خطوات متئدة ، وقد وضع يديه خلف ظهره ، كمن يترقب شيئا . ولما لم يتحقق له ذلك قال :

ـ دورك يا جانفييه ! اننى ذاهب لألقى الأم .

وفى الحق انه لم يكن ليدرى ماذا هو فاعل . وقد صرح جانفييه فيما بعد ،أنه لم يسبق له ان رأى رئيسه فى هذه الحالة من الاجهاد وسوء الخلق التى رآه بها فى هذه الليلة .

وعند ما بلغت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، كان كل من بالادارة قد فقد الثقة بكل شىء . وكان الجميع يتبادلون نظرات الأسى فى غفلة من كبير المفتشين .

الفصل الثامن

كان ميجريه فى طريقه من غرفة التحقيق الى حيث يباشر المترجم عمله ، عندما أقبل عليه أحد عمال النظافة قائلا :

ـ هناك سيدة تطلب أن تراك .
ـ اين هى ؟ .
ـ انها احدى السيدتين اللتين كانتا بغرفة الانتظار . ولقد لاحظت انها متعبة ، عندما جاءت الى الغرفة التى كنت أقوم بتنظيفها ، شاحبة الوجه تسألنى أن أبحث عنك . فسأله ميجريه مقطبا :

ـ السيدة المسنة ؟ .
ـ لا . الفتاة .

وكانت معظم الابواب التى بالمشى مفتوحة . وفى احدى الغرف ، رأى كبير المفتشين ارنستين تطبق باحدى يديها على صدرها . فأسرع بخطاه اليها وهو يهم بسؤالها عما بها . وما أن اقترب منها ، حتى قالت هامسة :

ـ اغلق الباب .

ـوما ان قام بذلك حتى بادرته قائلة :

ـ انني لم أستطع أن اقاوم أكثر من ذلك . وفي الحق ، انني على ما يرام . لقد تظاهرت بذلك حتى استطيع ان اتركها قليلا . الا يمكن أن أجد قليلا من الخمر هنا ؟ .

واضطر أن يعود الى غرفة مكتبه ليأتي بزجاجة كونياك كان يحتفظ بها في درج مكتبه . وعاد اليها بالزجاجة وصب منها ملء كوب صغير التقت بمحتوياته في جوفها دفعة واحدة ، اهتز لهـا جسمها كله .

ـ كيف أتيح لك أن تطيق الابن ؟ لقد كادت الام أن تفقـدني صوابي ! .

ـ وهل وصلت معها الى شيء ؟ .

ـانها أوسع مني باعا ! وهذا ما أردت أن أخبرك به . فقـد بدات معها أول ما بدأت بأن ألقمهـا الحجر الذي أعـددته لها ، وكدت أقتنع بأنها قد ابتلعته دون أن تدري وانني بلغت ما اريده منها .

ـ وفجأة ، ودون ان أدري كيف حدث ذلك ، وجدت انهـا هي التي توجه الاسئلة في كل ناحيـة ، في صـيغة بسيطة وثوب بريء . لقد تعرضت في حياتي لأشد أنواع الاستجواب واقساه ، حتى خيل الى أنني لن ترهقني بعد ذلك أكثر الاسئلة حرجا .

ـ وقد انهار كل ذلك أمام جبروتها ، مما لم يترك لي مجالا لأي شيء .

ـ وهل عرفت من انت ؟ .

ـ لم يكن ذلك بصفة مباشرة . ان هذه المراة بارعة كل البراعة يا مسيو ميجريه . فـكيف عرفت انني من فتيات الشوارع ؟ . قل لي بصراحة ، هل مازلت أبدو كذلك ؟ .

ثم وجدتها تقول لي :

ـ انك لست غريبة عن هؤلاء القوم ، أليس كذلك ؟ .

ـ وكانت تعنيكم بذلك .

ـ وانتهى بها الامر الى أن تستفسر منى عن حياة السجون ، ووجدتنى أشرح لها ذلك دون أن أدرى .

ـ لو قلت لى فى بادىء الامر ، انها ستكسب الجولة فى النهاية ، لما صدقتك .

ـ وهل اخبرتها بشىء عن الفريد ؟ .

ـ الى حد ما . دون أن اكشف لها عن حقيقة عمله ، الذى لم يكن ليعنيها فى كثير أو قليل . ان ما كان يعنيها هى أن تعرف كل شىء عن حياة السجون . وقد استغرقت أسئلتها من الوقت اكثر من ثلاثة أرباع الساعة : متى تستيقظون ، ماذا تأكلون ، كيف يعاملكم الحراس .... واعتقدت انه قد يعنيك أن تعرف كل ذلك ، فتظاهرت بالحالة التى رأيتنى عليها . وحملت عليك وقلت انه ليس من الانسانية فى شىء ، أن تترك النساء هكذا طوال الليل ....

ـ أو تسمح بجرعة أخرى ؟ .

ولاحظ أنها وان كانت قد اذعت المرض ، الا انها كانت مجهدة فعلا . كما لاحظ أن الكونياك قد أفادها وأعاد الدم الى وجهها .

ـ الم يتكلم ابنها بعد ؟

ـ لم يتكلم بعد .

ـ ألم تتحدث بشىء عن ابنها ؟ .

ـ كانت تفتح أذنيها لكل صوت ، وتزعجها كل حركة . وكان من بين ما أرادت أن تعرفه ، ما اذا كنت قد قابلت أحد المحكوم عليهم بالاعدام . كانت تريد أن تحيط بكل شىء عن هذه الناحية ! سأعود اليها ، لانى أشعر باننى أحسن حالا . لا تقلق ، فسأحرص هذه المرة على الا يفلت منى زمام أمرى .

وانتهزت هذه الفرصة لتصلح من هندامها وتضيف بعض المساحيق الى وجهها . ثم نظرت الى الزجاجة دون أن تجرؤ على طلب جرعة ثالثة .

ـ هل تجاوزنا منتصف الليل بكثير ؟ .

ـ انها الثالثة صباحا .

ـ انى لأعجب ، كيف تسنى لهذه المرأة الطاعنة فى السن أن تتحمل كل ذلك ! فما استطاع التعب ان ينال منها شيئا . وها هى ذى تجلس فى آخر الليل كما كانت تجلس فى أوله ، منتصبة القامة لا يبدو عليها شيء من الارهاق .

وتركهـا ميجـريه تنصرف . ثم قام الى نافـذة مطلة على الساحة ، ليستنشق بعض الهواء النقى ، بعد أن شرب ملء فمه من زجاجة الكونياك التى كانت فى يده . وفى طريق عودته ، عرج على الغرفة التى يزاول المترجم فيها عمله ، حيث أطلعه هذا على فقرة باحدى الرسائل قائلا :

ـ ان تاريخ هذه الرسالة يرجع الى عام ونصف مضى .

كتبت ماريا لصديقتها تقول :

ـ حدث بالامس ما أثار ضحكى . فقد حضر ج الى غرفتى ليحدثنى بشأن ما اقترحته قبـل ذلك بيوم عن السفر الى نيس لقضاء يومين بها .

ـ ان هؤلاء القوم ترعبهم فكرة السـفر . ولم يسـبق لهم أن رحلوا عن فرنسـا الا مرة واحـدة فى هذا العمر الطويل . وكان ذلك فى حياة والده الذى اصطحبهم معه الى لندن . وتصادف انهم جميعا أصيبوا بدوار البحر ، مما اضطرهم لاستدعاء طبيب السفينة ليعودهم .

ـ الا انه لا علاقة بين هذا وبين ما نحن بصدده ، وما كنت أريد أن أسرده عليك .

ـ فكل ما أتحـدث به ولا يروقهما ، يلزمان حيـاله جانب الصمت . وكل ما يفعلانه ، أنهما يتوقفان عن الكلام ، ونمر جميعا بفترة من السكون الذى يخيم علينا .

ـ ثم حضر ج الى غرفتى كما قلت لك ، مهموما مبتئسا ، وبدأ يحوم حول الغابة كما يقولون ، ثم دخل فى الموضوع أخيرا وكشف لى عن خبيئة نفسه . واتضح لى مما قاله أن فكرة السفر الى نيس لحضور الكرنفال لم تكن فكرة موفقة مقبولة . بل لقد صرح

لى بان والدته صدمت لمجرد سماعها لاقتراحى هذا ، وتضرع الي أن أقلع عن هذه الفكرة .

ـ فليكن ، لا علينا من ذلك . فقد تصادف أن كان درج منضدة فراشي مفتوحا . فالقى عليه نظرة عابرة ، شحب لها وجهه على اثرها . ثم ابتدرنى سائلا ، وهو يشير الى مسدس صغير كنت قد اشتريته فى اثناء رحلتى الى مصر ، ما هذا ؟ .

ـ ولعلك تذكرين اننى سبق ان كتبت لك عن ذلك فى حينه ؟ وقلت لك ان بعضهم اشار على بذلك ، لأنه يحسن بامراة تسافر بمفردها فى بلاد أجنبية ، أن تتزود بشيء من هذا القبيل .

ـ ولست أدرى لماذا وضعته فى هذا الدرج بالذات . فاجبته بكل هدوء :

ـ مسدس .

ـ وهل به ذخيرة ؟ .

ـ لا اعرف .

ـ ثم أمسكت به ، وفحصت الخزانة ، ولم أجد بها ذخيرة .

ـ هل لديك ذخيرة ؟ .

ـ طبعا .

ـ وبعد نصف ساعة ، انتحلت والدته عذرا لتدخل غرفتى ؟ كعادتها دائما عندما تريد أن تدخل غرفتى منتحلة اعذارا . وفعلت ما فعله ابنها فى أول الامر من عدم الدخول فى الموضوع مباشرة . ثم صارحتنى برأيها عن حمل المرأة للسلاح وعدم مناسبة ذلك لها . فقلت لها :

ـ انه ليس بأكثر من صورة ، أحتفظ بها كتذكار . علاوة على أنه مرصع بالجواهر ومنقوشة عليه الحروف الاولى من اسمى . ولست أرى فيه غير حلية جميلة لا ضرر منها على أحد .

ـ واقتنعت أخيرا بوجهة نظرى . ولم يكن ذلك قبل ان سلمتها صندوق الذخيرة .

ومن المضحك اننى ، بعد أن تركتنى وانصرفت ، عثرت فى

احدى حقائب يدى على «مشط» ذخيرة كنت قد نسيت امره وطبعا لم اخبرها بذلك ...

وعندئذ صب ميجريه قليلا من الكونياك ، من الزجاجة التى كانت لم تزل بيده ، فى كأس سلمها للمترجم . ثم قفل راجعا الى غرفة مكتبه ، التى تركها له جانفييه فور دخوله .

ـ سيريه ، لقد قلبت الأمر على كل وجوهـه . وبدأت أوقن بأنك لم تكن تنحرف بأقوالك عن الصدق كثيرا ، كما كنت أظن .

ويلاحظ أنه أسقط من حـديثه كلمة «مسيو» ، كأنما كان لهذه الساعات الطوال التى قضياها معا فى غرفة واحدة ، اثرها فى رفع الكلفة بينهما . ولم يفعل الطبيب أكثر من أن يتأمله فى شك مريب .

ـ لم يكن من المفـروض أن تختفى ماريا بغير الطـريقة التى اختفت بها زوجتك الأولى . ان اختفاءها بالصـورة التى حدثت بها لم يكن فى مصلحتك . فقد حزمت متاعها ، وأعلنت اعتزامهـا السفر الى هولاندا . وكان فى نيتها فعلا أن تستقل قطار الليل .

ـ ولست أدرى ، هل كان من المفروض أن تموت بالمنزل أو يتم ذلك بعد أن تغادره . ماذا تقول فى هذا ؟.

ولم يجب جيللوم سيريه بشىء . الا أن تعابير وجهه نمت عن اهتمامه الكبير بما سمع .

ـ وبمعنى أدق ، كان المفروض أن تموت ميتة طبيعية ، اى أن تموت ميتة تبدو طبيعية . الامر الذى لم يتم . لأنه لو تم فعـلا بهذه الصورة ما كان بك حاجة للتخلص من جثتها ومن متاعهـا .

ـ ثم هناك شىء آخر ، أحب أن أضيفه الى ما سبق . لقـد ودعتها وودعتك . فماذا دعاها بعد ذلك لأن تعود لغرفة مكتبك ، حيث وجدت جثتها فى وقت ما من تلك الليلة .

ـ اننى لا أطلب منك الاجابة عما أسألك به . كل ما أطلبـه منك أن تتتبع ما أسرده على مسامعك . لقد كشفت الآن فقط ، أن زوجتك كانت تملك مسدسا .

ـ وتجدنى على استعداد للتسليم بأنك أطلقت عليها النار دفاعا عن النفس . ثم انتابك الذعر عندما تجسمت لك حقيقة ما جنت

يداك . فتركت الجثة حيث كانت ، واندفعت لتأتى بسيارتك من الجاراج . وفى هذا الوقت شاهدتك حارسة المبنى كما أخبرتك من قبل .

ـ وان ما أحاول أن أصـــل اليه ، هو لماذا تغيرت خطط كل منكما . لقد كنت فى غرفة مكتبك . أليس كذلك ؟

ـ لا أذكر .

ـ سبق أن قررت ذلك .

ـ ربما .

ـ وترانى مقتنعا كل الاقناع بأن والدتك لم تكن بغرفتها ، بل كانت معك حيث كنت .

ـ لقد كانت فى غرفتها .

ـ اذن ، فأنت تذكر ذلك ؟

ـ نعم .

ـ وبناء على ذلك ، فأنت تذكر أنك كنت بغرفة مكتبك ؟ كما تذكر أنها لم تخرج لتبحث عن سيارة أجرة . لأنها لو كانت فعلت ذلك فى تلك الليلة ، لكنا وفقنا فى الاهتداء الى السائق ويترتب على ذلك ، أنها غيرت رأيها قبل أن تغادر المنزل واتجهت الى غرفة مكتبك . فما هى علة ذلك ؟

ـ لا أعرف .

ـ أتعترف بأنها قابلتك فى غرفة مكتبك حينئذ ؟

ـ لا .

ـ لقد جانبك التوفيق يا سـيرنه . ان الحالات التى لم تكشف فيها جثث القتلى ، قليلة نادرة . وسنوفق فى العثور على جثتها . وعندئذ ، ســيتضح من تشريح الجثة ، أن الوفاة كانت نتيجة لاطلاق النار على صاحبتها . وكل ما أتساءل عنه الآن ، هو ما اذا كان اطلاق النار عليها كان من مسدسها أو من مسدسك .

ـ ان محور هذه القضية يرتكز على هذه النقطة بالذات . فاذا ما اتضح أن الرصاصة كانت من مسدسهـا ، استتبع ذلك ، أنها

لسبب مـا ، قد جاءت اليك وقد اعتزمت أمرا • وقد يكون ذلك لتسوية موضوع ما أو لتهديدك وارغامك على التسليم بشيء ما •

ـ ويحتمل أن يكون المـال هو الدافع على ذلك يا سيريه ؟ •

ولم يعقب على هذا واكتفى برفع كتفيه •

ـ وكان أن هاجمتها ، وانتزعت منها السلاح ، وضغطت على الزناد دون ان تتعمد ذلك • وهناك احتمال آخر • وذلك أنهـا قد هددت والدتك ولم تهددك أنت . انكراهية المرأة للمرأة لأشد عمقا من كراهية المرأة للرجل •

ـ واليك احتمال أخير • وذلك أن مسدسك لم يكن بغرفتك حيث وضعته بعد ذلك ، بل كان فى درج مكتبك.وها هى ذى ماريا تدخل الغرفة مسلحة تتوعدك وتهددك . ثم ها أنت تفتـح الدرج وتبدأ باطلاق النار •

ـ وفى كلتـا الحالتين ، نجد أنك بمنجـاة من الحكم عليك بالاعدام • وذلك لانعدام ركن سـبق الاصرار • ولأن وجود المسدس فى درج مكتبك أمر طبيعى •

ـ ومن حقك أن تدفع التهمة بأنك كنت فى حالة دفاع عن النفس •

ـ وليس امامك لتدعيم دفاعك ، الا أن تشرح للمحكمة السبب الذى من أجله اندفعت زوجتك الى غرفة مكتبك ، فى اللحظة التى كان يجب أن تغادر البيت فيها ، وفى يدها مسدس تشهره فى وجهك •

ثم اعتدل فى جلسته أخيرا ، وأشعل غليونه دون أن يرفع عينيه عن وجه الطبيب •

ـ ماذا ترى فى ذلك ؟ •

ـ ان ما نحن فيه ، يمكن أن يستمر للأبد •

ـ أو ما زلت مصرا على موقفك ؟ •

ـ لقد أجبت عن كل أسئلتك صاغرا •

ولـكنك لم تذكر لى لمـاذا أطلقت النار عليها •

ـ لأننى لم أطلق النار عليها •

ـ اذن فوالدتك هي التي اطلقت النار عليها .

ـ ولا والدتي • لقد كانت في غرفتها بالطابق العلوى •

ـ بينما كنت تتشاجر مع زوجتك ؟ .

ـ لم يقم بيننا أي شجار •

ـ سيريه ! استمع الى ! لقد بذلت أقصى ما في وسعى لأصل الى السبب الذى من أجله توعدتك زوجتك وهددتك •

ـ انها لم تهددنى •

ـ لا تتمسك بقولك هذا • فقد تندم على ما تصر عليه الآن • انك أنت من سيطلب استعمال الرأفة من المحلفين لأن حياتك أو حياة والدتك كانت مهددة بالخطر •

فابتسم سيريه ساخرا • لقد كان مكدودا متعبا • ولكنه لم يفقد شيئا من ثقته بنفسه وسيطرته على أعصابه • وبدأ ستر الظلام ينحسر قليلا عن صفحة السماء ، وبدأ الطقس يميل نحو البرودة قليلا •

وكان ميجريه أول من شعر بتغير الطقس ، فقام الى النافذة يغلقها وهو يقول :

ـ لم يكن من مصلحتك أن تجد جثة بين يديك • أعنى جثة لا يجب ان يراها أحد . هل تتابع ما اقول ؟ .

ـ لا •

ـ عندما توفيت زوجتك الأولى ، كان في مقدورك أن ترسل في طلب الدكتور دوتيللو ليحرر شهادة الوفاة •

ـ وهذا ما كان سيحدث عند وفاة ماريا • حيث كان من المفروض أن تحدث الوفاة نتيجة لأسباب طبيعية • فقد كانت هي الأخرى مريضة بالقلب • وما نجحت فيه مرة ، يمكن أن تنجح فيه مرة أخرى •

ـ الا أنك فوجئت بما لم يكن في الحسبان •

ـ لعلك قد تبينت ما اريد أن أصل اليه ؟ .

ـ أنا لم أقتلها •

ـ ولم تتخلص من جثتها وأمتعتها ومن معدات اللص أيضا ؟ .

ـ لم يكن هناك لصوص ٠

ـ قد أواجهك بهذا اللص بعد بضع ساعات ٠

ـ وهل تمكنت من أن تصل اليه ؟ ٠

ـ لقد تمكنا من رفع بصمات أصابعه من غرفة مكتبك ٠ ولقد حرصت على ازالة كل أثر لهـا بتنظيف جميع قطع الأثاث بالغرفة تنظيفا دقيقا ٠ وكما يحدث دائما نسيت قطعة كشفنا بها آثار بصماته ٠ واتضح أنه من أرباب السـوابق المعروفين لنا جيدا ويدعى الفريد جوسيوم ـ أو فريدى الحزين كما يطلقون عليـه ٠ ولقد أخبر زوجته بما رأى ٠ وهى تجلس الآن بغرفة الانتظار مع والدتك ٠ أما جوسيوم فهو موجود الآن ببلدة روان ، ولم يعد هناك مبرر لاختفائه ٠

ـ ولدينا من الأدلة أقوال حارسة المبنى التى شاهدتك تخرج بسيارتك من الجاراج ٠ وأقوال مندوب البيع الذى اشتريت منه لوحا ثانيا من الزجاج فى الساعة الثامنة من صباح يوم الأربعاء ٠

ـ كما سيثبت من تقرير القسم الفنى أن سيارتك قد تم تنظيفها بعد هذا التاريخ ٠

ـ فما رأيك فى كل هذه الأدلة مجتمعة ؟

ـ وسانفض يدى من هذه القضية ، بمجرد الكشف عن الجثة والأمتعة ٠

ـ وعندئذ ، قد تضطر لأن توضح للمسئولين ، الظروف التى اضطرتك للتخلص من هذه الجثة فورا ٠

ـ ان فى هذه القضية ثغرة ما ٠

ـ ترى ما هى يا سيريه ؟ ٠

وأخرج الرجل منديلا من جيبه ، جفف به حبات العرق التى كانت تغطى جبهته ، دون أن يعقب بشىء على ما سمع ٠

ـ ان الساعة قد بلغت الثالثة والنصف صـباحا ٠ ولقد فاض بى وبدأت أضيق ذرعا بكل هذا ٠ أما زلت مصرا على عدم التحدث بشىء ؟ ٠

ـ ليس لدى ما أقوله ٠

ـ « حسنا ، قال ذلك ميجرية وهو ينهض عن مقعده • « لم أكن أحب أن أحرج امرأة مســـنة • الا أننى أجد أنه لا مفر من استجوابها » •

وكان ينتظر بعد تصريحه هذا ، أن يسمع احتجاجا أو يوجه اليه اعتراض على ما أعلنه عن عزمه • بل كان الأمر على العكس من ذلك تماما • حيث لم يحرك الطبيب ســـاكنا ، وبدا وكأنه ارتاح لذلك وهدأت نفسه بما سمع •

ـ تولى أمره أنت يا جانفييه • أما أنا فسأعنى بأمر الأم •

وكان قد نوى ذلك حقا فى هذه المرة ، وعقد العزم على التفرغ للأم • الا أنه لم يستطع أن يضع ذلك موضع التنفيذ فورا • حيث ظهر فاشيه أمامه فجأة وقد اشتعل حماسا ، متأبطا لفافة بهـا شىء ما •

ـ لقد حصلت عليها يا سيدى الرئيس ! لقد اقتضى ذلك منى بعض الجهد ، ولكن ها هى ذى أخيرا كما أعتقد •

ثم فض اللفافة ، ليكشف عما بها من قطع صغيرة من الطوب الأحمر والأتربة المختلفة منه •

ـ وأين حصلت عليها ؟

ـ من رصيف بيلا نكورت ، تجاه جزيرة سيجوين • لقـد بحثت فى جميع موانى التفريغ • ووجدت أن بيلا نكورت كانت الميناء الوحيدة التى أفرغت بها حمولة من الطوب الأحمر أخيرا •

ـ ومتى كان ذلك ؟

ـ يوم الاثنين الماضى • وقد أبحرت الســفينة يوم الثلاثاء ظهرا • ولم يزل الطوب موجودا على الرصيف هناك ، حيث يعبث به الأطفال ويفسدون قطعا كثيرة منه ، تناثرت على مساحة كبيرة من المـكان • هل أحمل هذه الآثار الى مويرز ؟ •

ـ سأذهب أنا بنفسى •

ومر فى طريقه بغرفة الانتظار ، حيث وجد المرأتين جالستين فى صـــمت مطبق • ولاحظ من حالتيهمـــا أن جوا من البرود يسودهما •

ودخل ميجريه المعمل ، حيث قدم اليــه مويرز فنجانا من القهوة كان فى أشد الحاجة اليه ٠
ـ أما زلت محتفظا بقطع الطوب ؟ وهل تحب أن تجرى عليهــا مقارنة ومضاهاة ؟ ٠
واتضح أن اللون واحد ، وان الخواص واحدة من أول نظـرة ثم ثبت بعد الفحص الدقيق بالمجهر وبالآلات الخاصة ، التشابه التام بين تكوين كل من العينتين ٠
ـ هل نضيف بذلك دليلا جديدا ؟

ـ من المحتمل الى حد كبير ٠ انها كما ظهر لى متشابهة فى كل نواحيهـــا ٠ وحتى يمكن أن أكتب تقريرى ، يجب أن أقوم بتحليلها ٠ ولن يستغرق هذا منى أكثر من نصف ساعة ٠

وكان الوقت متأخرا ، لا يسمح بالقاء الشباك بنهر السين لاستخراج ما قد يكون مستقرا بقاعه ٠ كما أنه لن يتيسر لداورية النهر أن تكلف أحد الغواصين القيام بهذه المهمة قبل الشروق ٠ وان يسمح الوقت بذلك ، ويتم انتشـــال جثة ماريا أو شىء من أمتعتها أو صندوق معدات اللص ، فان الدائرة ستضيق وتتم فصولها ٠
ـ هللو ! داورية النهر ؟ ميجريه يتحدث اليكم ٠
وكان ميجريه لم يزل على حاله ، محنقا ثائر الأعصاب ٠

ـ يقتضى الأمر أن يتخذ اللازم للبحث فى السين ، بأسرع ما يمكن ، عن أشياء يجب أن يتم انتشالها ٠ وذلك أمام رصيف بيلا نكورت فى المكان الذى أفرغت فيه احدى سفن الشـــحن حمولتها حديثا ٠
ـ فى مدى ساعة من الآن ، سينتشر ضوء النهار ٠
ماذا ينتظر بعـد ذلك ؟ ان المحلفين لن يعوزهم الدليل بعد كل هذا ليقرروا ادانة جيللوم سيريه ، مهما أصر على انكاره ٠
وأمسك ميجريه بزجاجة الكونياك وشرب منها جرعة أخرى ، ثم خرج الى الدهليز فى طريقه الى غرفة الانتظار ، وما أن بلغها حتى تعمد أن يفتح بابها على مصراعيه بعنف وحدة ٠

وخيل لارنستين أنه قادم من أجلها ، فهبت واقفة . أما مدام سيريه فظلت جالسة في مكانها لا تتحرك .

فتوجه ميجريه بكلامه الى الأخيرة قائلا :

ـ هل يمكن أن تصحبيني لحظة ؟ .

ثم ولاهما ظهره وخرج من الغرفة الى احدى الغرف الخالية حيث تبعته السيدة سيريه .

ـ تفضلي بالجلوس .

وبدأ يدور في الغرفة ، وهـــو يلقي بنظراته من حين لآخر ناحية السيدة العجوز .

ـ ليس من طبيعه خلقي أن أحمل أنباء سيئة ، بهـــذا بدأ حديثه أخيرا . وبالذات اذا ما كان ذلك لسيدة في سنك ! مدام سيريه ، هل سبق لك أن شكوت مرضا أو علة ما !

ـ لم يسبق لي أن احتجت لاستشارة طبيب ، الا مرة واحدة عندما تعرضنا جميعا لدوار البحر في أثنـــاء عبورنا المانش في إحدى السفن .

ـ معنى ذلك انك لا تقاسين من مرض من أمراض القلب ؟ .

ـ لا .

ـ أظن ان ابنك يعاني ذلك ؟ .

ـ نعم . فقلبه متضخم .

ـ لقد قتل زوجته ! ألقى في وجهها بتصريحه هذا وهو يحدق بعينيه في وجهها .

ـ وهل اعترف لك بذلك ؟

وعزف عن انتهاج طريقة تزييف الاعتراف القديمة .

ـ انه ينكر ذلك . الا أن هذا لن يفيده بشيء . فلدينا مايكفي من أدلة .

ـ على أنه هو القاتل ؟

ـ على أنه أطلق النار على ماريا في غرفة مكتبه .

ولم تحرك ساكنا بأكثر من ازدياد ملامحها جمودا . حتى خيل لميجريه انها توقفت عن التنفس .

ـ وما هي تلك الأدلة ؟

ـ لقد اهتدينا الى المكان الذى ألقى فيه بجثة زوجته بالنهر مع أمتعتها .

ـ آه !

ولم تنطق بأكثر من ذلك . وجلست تنتظر فى هدوء ، عاقدة ما بين يديها على ثوبها الأسود .

ـ ان ولدك يرفض تبرير جرمه بحق الدفاع الشرعى . وأرى أنه يرتكب بهذا خطأ كبيرا فى حق نفســـــه . لأننى مقتنع تمام الاقتناع بأن زوجته عندما أقبلت عليه بغرفة مكتبه كانت تحمل سلاحا بيدها بقصد الاضرار به .

ـ ولماذا ؟

ـ هذا هو ما أسألك أنت عنه .

ـ ليست عندى أية فكرة عن ذلك .

ـ أين كنت حينئذ ؟

ـ فى غرفتي كما سبق أن أخبرتك .

ـ ألم تسمعى شيئا يثير انتباهك ؟

ـ لم أسمع غير باب يغلق . ثم أعقبه صوت محرك سيارة فى الشارع .

ـ سيارة الأجرة ؟

ـ لقد اعتقدت ذلك ، لأن زوجة ابنى كانت قد قالت أنهـــا بسبيل الذهاب لاستحضار سيارة أجرة .

ـ ولكنك لست واثقة من ذلك ؟ فمن المحتمل أن تكون هذه السيارة سيارة خاصة ؟

ـ أنا لم أرها حتى يمكن أن أقرر ذلك .

ـ مما لا يستبعد معه أن تكون هذه السيارة هى ســـــيارة ابنك ؟

ـ لقد أقسم لى مؤكدا أنه لم يخرج بها .

ـ ألا تتبينين التعارض الصارخ بين ما تقررينه الآن ، وبين ما سبق أن أدليت به الى ، عندما جئت الى هنا بمحض ارادتك ؟

ـ لا أتبين ذلك •

ـ لقد أكدت لى حينئذ أن زوجة ابنك رحلت فى سـيارة الأجرة •

ـ ولازلت أعتقد أن ذلك هو ما حدث .

ـ ولكنك لست على يقين من ذلك • وما هو مدى ما تعرفينه عن حادث الشروع فى السرقة ؟ .

ـ لم يسبق لى أن رأيت ما يثبت ذلك •

ـ فى أية ساعة كنت بالطابق الأرضى صباح الأربعاء ؟ .

ـ حوالى السادسة والنصف •

ـ وهل دخلت غرفة المكتب ؟

ـ لم أدخلها مباشرة • فكان على أن أعد القهوة •

ـ هل قمت بفتح النوافذ ؟

ـ نعم • أعتقد ذلك •

ـ وكان ذلك قبل أن يهبط ولدك من الطابق العلوى ؟ .

ـ أرجح هذا •

ـ هل تقسمين على ما تقولين ؟

ـ ضع نفسك فى مكانى يا مسـيو ميجريه •• لقد مرت يومين ، وجهت لى فى خلالهما مختلف الأسئلة ، حتى لم أعد أدرى من أمر نفسى شيئا • وأمضيت الساعات الطوال جالسة بغرفة الانتظار ، حتى نال منى التعب وكلت قواى •

ـ وماذا أتى بك الليلة الى هنا ؟

ـ أليس من الطبيعى أن تتبع أم ابنها فى مثل هذه الظروف ؟ انى لم أفترق عنه طوال حياتى • وقد يكون بحاجة الى •

ـ وهل ستتبعينه الى السجن ؟ .

ـ لا أفهم ما تعنيه بقولك هذا . فاننى لا يمكن أن أصدق أن ..

ـ اذن ، اليك مـا أعنى بصراحة : اذا ما وجهت التهمة الى ولدك ، فهل أنت على استعداد أن تشاركيه فى تحمل مسـئولية ما فعل ؟ .

ـ ولكنه ما دام لم يرتكب اثما !

ـ وهل أنت واثقة من ذلك ؟ »

ـ ولماذا يقتل زوجته ؟

ـ انك تتجنبين الرد الصريح . هل أنت مقتنعة تمام الاقتناع بأنه لم يقتلها ؟

ـ بقدر ما لدى من ظواهر الأمور .

ـ الا يوجد احتمال بأنه قد فعل ذلك ؟ .

ـ لم يكن هنالك ما يدفعه لارتكاب ذلك .

ـ ولكنه ارتكب ما ارتكبه فعلا !

ألقى بدلك على مسامعهـــا محتدا وهو يحدق فى وجههـــا . ورآها تجلس فى مكانها وكأنها على حافة هاوية ، تخشى عندهـــا الحركة متهوى بها . ثم تنهدت قائلة :

ـ آه ! وبعدها فتحت حقيبة يدها وأخرجت منهـــا منديلا ، لا لأنها كانت تبكى ، بل مرت به على وجهها وهى تقول :

ـ هل لى فى كوب ماء ؟

فأمر لها بما طلبت . ثم استطرد قائلا :

ـ بمجرد وصول النائب العام الى دار العدالة ، ســـيصدر قرارا بتوجيه التهمة لولدك وأصارحك القول . بأنه ليست لديه أقل فرصة ليدفع عن نفسه هذا الاتهام .

ـ أتعنى أنه ...

ـ أنه فى طريقه الى الجيلوتين (المقصلة) .

ومن المحتمل أن ميجريه كان يتوقع أنه سيغمى عليها بمجرد أن يلقى فى وجهها بهذا التصريح . الا أن كل ما حدث أنها أصبحت كالتمثال على مقعدها ، وكأنها قطعة من الحجر الصلد الأصم ، قد ثبتت عيناه فى محجريهما .

ـ وسنعمل على استخراج جثة زوجته الأولى من قبرهـــا . ولعلك تعرفين أنه يمكن الكشف عن آثار بعض السموم فى بقايا الهيكل العظمى .

ـ وما هو الباعث على قتلها ؟ ان هذا لا يمكن تصوره على الاطلاق . بل هو أمر أبعـــد ما يكون عن الحقيقة . ولست أدرى

لماذا تصر على أن تخبرنى بذلك • غير أننى أرفض تصـــديق كل ما حدثتنى به • دعنى أتصل به وأتحدث معه على انفراد ، وأنا أؤكد لك بأننى سأصل معه الى الحقيقة •

ـ هل كنت ملازمة لغرفتك طوال يوم الثلاثاء مساء ؟ •

ـ نعم •

ـ ألم تغـــادرى غرفتك بالطابق العـــلوى متجهة الى الطابق الأرضى ؟ •

ـ لم أغادرها • ولماذا كنت أكلف نفسى مشقة ذلك ، وقد قررت هذه المرأة أن تتركنا أخيرا ؟

واتجه ميجريه الى النافذة حيث أسند رأسه على زجاجهـــا ليخفف من حدة ما يغلى به وألهب جبهتـــه • ثم اتجه الى الغرفة المجاورة ، حيث أفرغ ما تبقى من زجاجة الكونياك فى جوفه •

فلما قفل راجعا ، اتخذ لنفسه هيئة جيللوم سيريه بخطواته الثقيلة ونظراته العنيدة ، التى تتحدى من يقف فى طريقه •

الفصل التاسع

وجلس على مقعد لم يكن مقعده الأصلى ، وقد ارتكز بمرفقيه على المنضدة أمامه ، وثبت غليونه فى فمـــه ، وركز عينيه على السيدة العجوز التى شبهها بالأم الـكبرى •

ـ ان ابنك ، يا مدام سيريه ، لم يقتل أية زوجة من الزوجتين

وكان ينطق بهذه الكلمات متعمدا أن يفصل ما بينها واحدة واحدة •

فزوت ما بين حاجبيها دهشة ، وكأنه لم يسعدها أن تسمع ذلك •

ـ ولم يقتل والده أيضا ، هذا ما أضافه متئدا •

ـ ماذا تراك •

ـ صمتا ! ••• لا تؤاخذينى • ســـــنتهى من ذلك بأسرع ما يمكن •

ثم مال الى الأمام مستطردا :

لن نشتغل أنفسنا بالأدلة الآن . فان ذلك له وقته .
ثم اعتدل فى جلسته مواصلا حديثه :

ولن نناقش الآن قضيةزوجك . وسنناقش قضية زوجة ابنك الأولى التى ماتت مسمومة كما أعتقد . بل سأذهب لأبعـــد من ذلك . فأنا مقتنع تمام الاقتناع ان ما ادى الى وفاتها لم يكن سم الزرنيخ أو غيره من سموم قوية المفعول تستعمل فى مثل هـذه الحالات . وبهذه المناسبة ، أحب أن أقرر لك ، يا مدام سيريه ، أنه من بين كل عشر جرائم قتل مما يرتكبها النساء ، يثبت أن تسعا منها أستعمل فيها السم كسلاح للجريمة .

ـ ان زوجة ابنك الأولى ، وكذلك الثانية ، كانت تعـانى من مرض القلب . وهكذا كان الحال مع زوجك .

ـ وهناك بعض الأدوية لا تؤثر بشىء فى الأصحاء الأقوياء . ولكنها فى الوقت نفسه تعتبر مصدر هلاك لذوى القلوب الضعيفة ولعل ماريا هى التى زودتنا بمفتاحهذه المشكلة فى احدى رسائلها التى كانت تكتبها لصديقتها . حيث تحدثت فيها عن رحلة قمتم بها الى انجلترا ، وعما تعرضتم له جميعا من دوار البحر . الأمر الذى استلزم عرضكم على طبيب السفينة .
ـ فماذا ترين مما أشار به من علاج ؟ .
ـ لست أدرى .

ـ كيف تقولين ذلك ؟ ان الجميع يعرفون أن ما يستعمل فى مثل هذه الحالات هو الأتروبين . ومن المسلم به ان جرعة كبيرة من الأتروبين تكفى لقتل شخص مريض بقلبه .
ـ هل تعنى بقولك هذا أن زوجى ...

ـ لا مجال لذلك الآن ، ولو أننا سنعود لهذا الموضـــوع فى حينه . حتى ولو صعب الأمر علينـــا . ولقد وصل الى علمى أن زوجك دأب فى آخر أيامه ، على أن يبعثر أمواله يمينا ويسارا فى حياة ماجنة صاخبة . وكنت ، يا مدام سيريه ، تخشين شبح الفقر دائما .

ـ لم تكن خشـــية الفقر من أجلى بل من أجل ولدى • وذلك لا يعنى أننى كنت ألجأ الى •

ـ وبعد مرور فترة من الزمن ، تزوج ابنك • وأصبح فى البيت عنصر جديد . امرأة أخرى تحمل لقبك مابين عشية وضحاها ولها من الحقوق مثل مالك •

فزمت شفتيها وتركته يستمر فى حديثه :

ـ وهذه المرأة ، التى كانت مريضة بقلبها هى الأخرى ، كانت تملك ثروة طائلة ، ثروة أكثر مما يملـــكه ابنـك ، وممـــا يمـــلكه آل سيريه مجتمعين •

ـ وتعتقد أننى دسست لها الســـــم ، كما قتلت زوجى من قبل ؟ •

ـ نعم •

فأرسلت ضحكة مكبوتة ، ثم قالت :

ـ مما يستتبع حتما أننى قتلت زوجة ابنى الثانية بالسم ؟

ـ وهذه الزوجة كانت تعتزم الرحيل ، بعد أن أعيتها الحيل ، وحاولت أن تتقبل وضعهـــا فى هـــذا البيت ، الذى تعامل فيه معاملة الغرباء • لقد كانت غريبة فى بيتهـــا • وكان من الطبيعى أنها ستأخذ أموالها معها • كما كان من المصادفات العجيبة ، أنها هى الأخرى كانت تشكو من لغط فى القــلب . أترين ؟ لقد عجبت من بادىء الأمر وتساءلت عن السر فى اختفاء جثتها . اذ أنها لو كانت قد ماتت مسمومة ، فما كان عليك الا أن ترسلى فى استدعاء طبيب ، تشرحين له حالتها الصحية ، فيحرر بناء على ذلك شهادة بوفاتها على اثر نوبة قلبية . وليس بمستبعد أن تفاجئها هذه النوبة فيما بعد بالسيارة أو بالمحطة أو بالقطار .

ـ انك تثق بنفسك الى أبعد الحدود يا مسيو ميجريه •

ـ وأعلم أنه حدث ما اضطر ولدك أن يطلق النار على زوجته ولنفترض معا أن ماريا عندما كانت فى طريقها للبحث عن سيارة

أجرة أو لطلب احداها تليفونيا ، شعرت ببعض الأعراض الخاصة التى أثارت شكوكها •

ولما كانت هذه المراة ، التى عاشت معكما تحت سقف واحد ، تعرفكما خير المعرفة • ولما كانت هذه المرأة واسعة الاطلاع ، مما لا أستبعد معه أنه كان لها بعض الالمام بالنواحى الطبية •

فقد أتاح لها ذلك أن تتحقق من أنه قد دس لها السم ، الأمر الذى دفعها الى دخول غرفة مكتب زوجها حيث كنت معه هناك •

ـ وعلى أى أساس تبنى نظريتك ، عن مصادفة وجودى معه ؟ .

ـ لأنها ، ولسوء حظها ، كانت قد قررت فيما بينها وبين نفسها ، أن تلقى باللوم عليك • لو كنت بغرفتك الخاصة ، لوجدتها تصعد الى حيث كنت •

ـ ولست على يقين مما وقع بعد ذلك • هل شهرت فى وجهيكما مسدسها ، أم أنها حاولت الاتصال تليفونيا بالشرطة •

الا أن ما أعرفه جيدا ، انه لم يكن هناك مفر من اطلاق النار عليها . وتأسيسا على ما قالت •••

لقد ذكرت لك وجهة نظرى . وشرحت لك أن ولدك هو الذى قام باطلاق النار ، أو بمعنى أدق ، هو الذى أتم ما بدأته •

وبدأت خيوط الفجر ، تنتشر على صفحة السماء • ونفذ شعاعها الى الغرفة ليظهر مع ضوء المصابيح الكهربية ؛ ما ارتسم على وجهيهما من خطوط الاجهاد • ثم سمعا رنين التليفون •

ـ أهو انت ياسيدى الرئيس ؟ لقد انتهيت من عملية التحليل! ان آثار الطوب الأحمر التى رفعناها من السيارة هى من نفس النوع الموجود فى بيلانكورت بكل تأكيد •

ـ يمكنك أن تنصرف • فلم يعد هناك عمل لك •

ومرة أخرى نهض عن مقعده وأخذ يدور بالغرفة •

ـ ان ولدك ، يا مدام سيريه ، مصر على أن يتحمل كل ماهنالك من مسئولية ـ ولم يعد أمامي وسيلة ما لأقنعه بالعدول عن موقفه هذا . وارى أنه مادام قد استطاع الا يتحدث بشيء طوال هـــذه المدة ، فانه قادر على التمادي في ذلك الى مالا نهاية . اللهم الا ــ
ـ اللهم الا ... ؟
ـ لست أدري . لقد كنت أفكر . لقد تصادفت رجلا في قوة احتمـــاله منـــذ عامين . وبعـــد ان ظـــل هـــذا الرجل جالســـا في غرفة مكتبي طوال خمس عشرة ساعة ، لم أفز منه بطائل . ثم دفع بمصراعي النافذة في هياج غاضب .
ـ وبعد سبع وعشرين ساعة ونصف الساعة بدأ ينهار !!
ـ وهل اعترف ؟
ـ كان اعترافه فيضا لم يتوقف ، حتى افرغ كل ما في جعبته ليتخلص مما أثقل كاهله .
ـ أنا لم أدس السم لأحد .
ـ اننا لا ننتظر منك ردا .
ـ هل تنتظرون ذلك من ولدي ؟
ـ نعم . فهو مقتنع تمام الاقتناع بأنك لم تفعلي كل ذلك الا من أجله . وكان ذلك منك حرصـــا على تأمين مستقبله المالي من ناحية ، وبدافع من شـــعور الغيرة الذي يأكل قلبك من ناحية أخرى .

ووجد نفسه مضطرا أن يقـــاوم تلك الرغبة الجامحة في أن يرفع يده ويصفعها بالرغم من شيخوختهـــا ، بعد ما اعتمل في نفسه على اثر ما فوجيء به من انفراج فمها بابتسامة كريهـــة ملتوية . ثم قال متنددا :
ـ وليس في ذلك نصيب من الصحة !

ثم اقترب منها ، وحدق بعينيه في عينيها ، ولفحت أنفاســـه وجهها . وقال لها محتدا وهو يضغط على أسنانه :
ـ ان ذلك لم يكن من أجله ، بل من أجلك أنت ؟ انك لم تقتلي أحدا من أجله ، ولم تكلفي نفسك عناء المجيء الى هنا ، الا خوفا من أن يتكلم .

وحاولت أن تبتعد عنه ، وأن تتحرك بمقعدها الى الخلف ، لتتخلص من نظراته القاسية المتوعدة . وواصل حملته وهو يزداد اقترابا منها :

ـ فليذهب الى السجن ، أو فليطر رأسه تحت المقصلة ، ان كل هذا لا يعنيك فى كثير أو فى قليل ، ما دمت آمنة لم يمسسك سوء . انك تأملين فى حياة طويلة ، وتثقين بأنه لم يزل أمامك من الاعوام الكثير ، تقضينها فى بيتك ، لتتمتعى بالنظر الى أموالك وبلذة الاحساس بها بين أصابعك وأنت تحصينها .

وتملكها خوف شديد . وكادت تصرخ رعبا . وعلى حين غرة ، وبحركة عنيفة سريعة ، اغتصب ليجريه من بين يديها ، حقيبة يدها التى كانت تقبض عليها بأصابعها فى حرص وتصميم ، فاندفعت لتسترجعها منه وهى تصرخ .

ـ مكانك . لا تتحركى .

ثم أسرع بفتح الحقيبة التى وجد من بين محتوياتها ، ورقة مطوية على قرصين من الأقراص البيضاء .

وعم السكون المكان ، وران عليه الهدوء ، واصبحت الغرفة التى يجلسان بها ، أقرب ما تكون الى كنيسة أو الى دير من الأديرة . وجلس ميجريه مسترخيا على مقعده ، كمن يهجع بعد شوط طويل بعيد المدى . ثم ضغط على زر الجرس الذى أمامه .

وما أن فتح الباب ، حتى قال متئدا ، دون أن ينظر الى رجل المباحث الذى أقبل تلبية للنداء :

ـ قل لجانفييه أن يتوقف عن استجوابه .

ولما لاحظ أن الرجل لم يتحرك من مكانه ، وظل واقفا تعلوه الدهشة قال له : لقد انتهى كل شىء باعترافها .

ـ أنا لم أعترف بشىء ما .

فانتظر حتى انصرف رجل المباحث وأغلق الباب .

ـ الأمر عندى سواء . فقد كان بوسعى أن أمضى فى الشوط حتى نهايته ، وأدعك تقابلين ولدك المقابلة الخاصة التى كنت

ترمين اليها . ألا تعتقدين أنك أزهقت من الأرواح ما فيه الكفاية لامرأة فى سنك .

ـ أتعنى أننى كنت ...

وكان يقلب القرصين بين أصابعه .

ـ كنت ستقدمين له الدواء ، أو ما يعتقد أنه دواء ، فتأمنين بذلك جانبه ، وتطمئنين أنه لن يستطيع الكلام الى الأبد .

وكانت أشعة الشمس قد ملأت أرجاء الغرفة ، وانتشر ضوء النهار ثم سمع رنين التليفون فرفع السماعة قائلا :

ـ المفتش ميجريه .

ـ هنـــا داورية النهر . نتحدث من بيلانكورت . لقد وجد الغطاس صندوقا شديد الثقل .

ـ ستعثرون على الباقى أيضا !

ثم وجد أمامه جانفييه واقفا بالباب وقد علته الدهشة .

ـ قيل لى :

ـ فلتصطحبها الى غرف الحجز . ومعها الرجل أيضا كشريك وسأقابل المدعى العام بمجرد حضوره الى مكتبه .

فلم يعد به حاجة اليهما بعد . فقد انتهى من مهمته مع الأم ومع الابن على حد سواء . ثم أمر القائم بالترجمة .

ـ يمكنك أن تعود الى منزلك .

ـ هل انتهى كل شىء ؟

ـ بالنسبة لعمل اليوم .

ولما عاد الى غرفة مكتبه ، لم يجـد الطبيب بهـا ، ولاحظ أن منفضة السجائر ملأى بأعقاب السيجار الأســـود الذى يدخنه سيريه . وكاد يغلبه النعاس وهــو على مقعده . وفجاة تذكر أن لوفتى لم تزل فى غرفة الانتظار .

وهناك وجـــدها تغط فى نومها . فأمسك بها من كتفهـا ليوقظها . فاعتدلت فى جلستها ، ورفعت يدها بحركة غريزية تصلح من وضع قبعتها الخضراء .

- انتهى كل شيء . عليك بالانصراف .!

- هل اعترف ؟

- بل هي التي اعترفت .

- ماذا تقول ؟! أو هي تلك المرأة العجوز التي -

- فيما بعد ! فيما بعد !

وبعد أن كان في طريقه الى خارج الغرفة ، توقف واستدار اليها وقد تملكه الشعور بالندم قائلا :

- شكرا ! وعندما يعود ألفريد تنصحينه بأن -

وماذا يجدى النصح معه ؟ ان الرجل الحزين لن يقلع عن السطو على الخزائن التي سبق له صنعها كما أنه لن يتنازل عما يعتقده بأن كل مرة يفعل فيها ذلك ستكون الأخيرة ، وأنها هي التي ستمكنه من تحقيق أمله في اعتزال هذا العمل والاخلاد الى الراحة في الريف .

وقد روعى عند الحكم على مدام سيريه كبر سنها . وتركت ساحة المحكمة ، وقد تملكها شعور بأنها قد قدر لهـا أخيرا أن تبسط جناحيها على سجن النساء ، وأن توجههن الى حياة منتظمة رتيبة .

وبعد ذلك بعامين ، قضاهما ابنها في سجن فريسنيس ، اتجه فورا الى منزله بشارع دى لافيرم ، حيث عاد الى حياته الأولى ، ولم ينقطع عن القيام بجولته المسائية .

ودأب فيما دأب عليه ، على التوجه في كل ليلة الى المقهى ، ليحتسى النبيذ الأحمر كما كان يفعل دائما . ولم ينس أن ينظر يمنة ويسرة قبل دخوله المقهى بحكم العادة .

« تمت »

هيئة قناة السويس

تعلن هيئة قناة السويس « ادارة الأشغال » عن طرح أعمال الصيانة والتشغيل السنوية المبينة فيما يلي ويمكن الحصول على نسخة من مستندات كل عملية من مكتب المناقصات والعقود بادارة الأشغال بالاسماعيلية نظير دفع الرسم المقرر قرين كل عملية وتقدم العطاءات داخل مظروفين يختم الداخلى منهما بالشمع الأحمر ويذكر به اسم العملية وتاريخ فتح المظاريف ويعنون المظروف الخارجى باسم السيد رئيس وعضو مجلس الادارة المنتدب هيئة قناة السويس « ادارة الأشغال » بالاسماعيلية .

اسم العملية	تاريخ فتح المظاريف	ثمن المستندات	مصاريف البريد	قيمة التامين الابتدائى
	ظهر يوم	جنيه	مليم	
صيانة المبانى والتحسينات البسيطة ببور سعيد وبور فؤاد والاسماعيلية	الاثنين ٦٤/٥/١١	١٠	٧٥٠ر٠	١٠٠٠ جنيه عن كل قسم
صيانة السخانات وافران البوتاجاز ببور سعيد والاسماعيلية وبور توفيق	الاثنين ٦٤/٥/١٨	١	١٠٠ر٠	٥٠ جنيها عن كل قسم
صيانة واصلاح الآلات الكاتبة والحاسبة ببورسعيد والاسماعيلية وبور توفيق	الاثنين ٦٤/٥/٢٥	١	١٠٠ر٠	٥٠ جنيها عن كل قسم
تنفيذ اعمال مختلفة بداخل المنطقة الجمركية ببور سعيد « اعمال صيانة الميناء »	الاثنين ٦٤/٦/١	٢	٢٠٠ر٠	٥٠٠ جنيه
كسح خزانات التحليل بمبانى الهيئة بالاسماعيلية	الاربعاء ٦٤/٥/٢٠	١	١٠٠ر٠	٥٠ جنيها
توريد رمال خشنة وناعمة من محاجر الهيئة	الاربعاء ٦٤/٥/٢٧	١	١٠٠ر٠	٥٠ جنيها



الدار القومية للطباعة والنشر

